الفصل الثالث
تعدد الزوجات فى الإسلام

توطئة .

المبحث الأول : تعدد الزوجات كواجب دينى وأخلاقى واجتماعى ، وعوامل تنظيمه .

المبحث الثانى : ضرورات إباحة التعدد .

المبحث الثالث : مزايا تعدد الزوجات فى الإسلام .

المبحث الرابع : نقد قاسم أمين للتعدد ورأيه فيه .

المبحث الخامس : تعدد زوجات الرسول ﷺ .

الفصل الثالث

تعدد الزوجات فى الإسلام

توطئة :

« الزواج صلة شرعية بين الرجل والمرأة تسن لحفظ النوع وما يتبعه من النظم الاجتماعية » (١) .

وكلمة شرعية توضح أنها جزء من الشريعة والدين وبالتالى للزواج شروط لصحته وآداب يجب اتباعها والتمسك بها ، ومن يمسها فهو آثم أو كافر .

ولم يجرؤ أحد على الطعن فى نظام الزواج الإسلامى ، ولكن الطعن كان ضد نظام الزواج بأكثر من واحدة ، وهو ما يسمى تعدد الزوجات للرجل ، ومن العجيب أن الإسلام سمح للمرأة بالزواج أكثر من مرة بلا حد أقصى لعدد الأزواج - بدون الجمع بين أكثر من زوج - وهذا فى حد ذاته تعدد ، لم يتم الطعن فيه ، فأعداء الإسلام لا يهمهم حقوق الرجال ، ولكنهم يدعون أن هدفهم إنصاف النساء وهو ما لم يحدث حقيقة ، وإنما غاية همهم هو ضياع المرأة تحت مسميات عدة وبالتالى هدم الأسر وبعده هدم المجتمعات وفى النهاية الذهاب بالدول والفناء الحضارى والثقافى والدينى .

وبلغ من غفلة الطاعنين فى نظام تعدد الزوجات أن بعضهم ظن أو أوحى إليه أنه من شروط الإسلام الزواج بأكثر من واحدة ، ومن لا يفعل فليس من الإسلام فى شىء، والحقيقة أن الإسلام لم ينشئ نظام التعدد حيث كان فى الأديان والحضارات والمجتمعات السابقة ، ولكنه سمح به كضرورة للوصول إلى الكمال فى العلاقات الجنسية والاجتماعية والدينية .

ويقول عن ذلك عباس محمود العقاد : « فإن الشرائع لا تفرض للمثل

---

(١) انظر الكتاب الأول من هذه الموسوعة: « المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام» - دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة .

الأعلى الذى يتحقق به الكمال ، ولكنها تفرض لأحوال الضرورة ، كما تفرض لأحوال الاختيار ، . . . . فليس النص على إباحة التعدد لأنه واجب على الرجل أو مُستحسن مطلوب ، وإنما النص فيه لاحتمال ضرورته . . . ويكفى أن تدعو إليه الضرورة فى حالة بين ألف حالة » (١) .

ولو أمعنا النظر فى آيات التعدد لوجدنا أنها تجمع بين الإباحة والحظر ، كان الحق تبارك وتعالى يقول لنا : لا تعددوا إن استطعتم ، والدرجة الأعلى هى الزوجة الواحدة ، ولكن التعدد قد يفضل لضرورات وبدونها يكون مكروها . يقول تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء : ٣] .

ثم يقول تبارك اسمه : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء: ١٢٩] .

فالآيتان توضحان حقيقة هامة : وهى الخوف من عدم العدالة يستوجب الاكتفاء بواحدة وإن كان التعدد هو الأصل . النصيحة بصعوبة العدل تستوجب الاكتفاء بواحدة .

والعدل : هو المساواة بين الزوجات فى الملبس والمأكل والنفقة والمبيت والجماع والمحبة والمودة والرحمة وغير ذلك من الأمور العائلية والأمور الخاصة من هدايا وهبات .

وقد كان الرسول ﷺ يقرع بين زوجاته فى السفر ليعدل بينهن فى مصاحبته ولم يستقر عند عائشة وهو مريض مرض الموت إلا بموافقة باقى أزواجه .

ولولا أن السنة النبوية وزواج الرسول ﷺ وصحابته بأكثر من واحدة ، لأفتى الكثير من الأئمة بتحريم التعدد ، وهذا خير شاهد أن التعدد ليس من أهداف الإسلام ولا من الأمور المستحسنة إلا لضرورات لخدمة الفرد والمجتمع .

---

(١) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن ص٧٦ ـ دار الهلال .

هذا ، وسوف يتضمن هذا الفصل المباحث التالية :

المبحث الأول : تعدد الزوجات كواجب دينى وأخلاقى واجتماعى ، وعوامل تنظيمه .

المبحث الثانى : ضرورات إباحة التعدد .

المبحث الثالث : مزايا تعدد الزوجات فى الإسلام .

المبحث الرابع : نقد قاسم أمين للتعدد ورأيه فيه .

المبحث الخامس : تعدد زوجات الرسول ﷺ .

المبحث الأول

تعدد الزوجات كواجب دينى وأخلاقى وإجتماعى ، وعوامل تنظيمه

لقد نظم الإسلام تعدد الزوجات ـ ولم يبتدعه ـ كضرورة قد تلجأ إليها الحكومات والمجتمعات والأفراد فى ظروف خاصة ، لا كفضيلة يجب التمسك بها ، فالإسلام أباح التعدد ولم يدع إليه ، ولو أن الضرورات لا تبيح المحظورات لنهى عنه وحرمه (١) .

ويقول عن ذلك داعية تحرير المرأة قاسم أمين : « وقد عرفت الأديان السابقة اليهودية والمسيحية وكافة المجتمعات نظام التعدد ، تعدد الزوجات هو من العوائد القديمة التى كانت مألوفة عند ظهور الإسلام فى جميع الأنحاء » (٢).

ولذلك فقد اعتاده الكثير من المجتمعات حتى أن بعضهم يراه فضيلة اجتماعية وواجبا أخلاقيا ، خاصة فى المناطق الريفية فى مصر والصحراوية كما فى سيناء والواحات وكل دول الخليج العربى تقريبًا : التى يعد من أهدافها زيادة النسل ، كضرورة قومية لتعمير البلاد ، وفى هذه المناطق قد ترى الزوجة أن من واجبها اختيار زوجة أخرى لزوجها ، وتذهب هى لخطبتها معتبرة ذلك من المروءة والشهامة والثقة بالنفس والخلق القويم والروح الإنسانية السامية ويدخل فى ذلك بعض بلاد العالم الغير مسيحية (٣) .

والإسلام كدين واقعى ينظم حياة البشر ويلبى رغباتهم فى حدود الحلال والحرام ، فقد شرع من الآداب ما يجعل التعدد لا يكون إلا لضرورة قصوى ، وليس لمجرد الاستمتاع الجنسى والتنقل المشروع من أحضان زوجة إلى أخرى .

---

(١) انظر كتابنا : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ص٣٠٩ ـ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع بالمنصورة .

(٢) تحرير المرأة ص١١٧ .

(٣) دول الغرب المسيحى قاطبة استبدلت نظام التعدد للزوجات بنظام تعدد العشيقات « الأصدقاء » ولم تعد تر ذلك قدحًا فى دين أو شرف أو مروءة .

هذا ، وقد تضمنت الشريعة الإسلامية الكثير من العوامل الوقائية التى تحد من التعدد وتنظم مزاولته .

ومن هذه العوامل :

أولاً : التحذير الشديد من التعدد خوفًا من عدم استطاعة تحقيق العدالة بين الزوجات :

العدل فرض فى البيتوتة « أى المبيت » وفى الملبس والمأكل والصحبة ، وحقوق الزوجية ، وسائر الحقوق الأخرى للزوجة .

فقد حذرنا الرسول ﷺ من عدم إقامة العدل فقال : « من كان له امرأتان يميل لإحداهما دون الأخرى ـ وفى رواية لم يعدل بينهما ـ جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل » (١) .

« والذى يطيل البحث فى النصوص القرآنية التى وردت فى تعدد الزوجات يجد أنها تضم إباحة وحظرًا فى آن واحد ، قال تعالى : ﴿ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُم مِّنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا ﴾ [النساء : ٣] .

كما قال تعالى : ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ وَإِن تُصْلِحُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ [النساء : ١٢٩] .

ومن هذه الآيات يتضح أن الشارع علق وجوب الاكتفاء بواحدة على مجرد الخوف من عدم العدل ، ثم صرح بأن العدل غير مستطاع . . . . . ولو أن ناظرًا فى الآيتين أخذ منهما الحكم بتحريم الجمع بين الزوجات لما كان حكمه هذا بعيدًا عن معناها لولا أن السُّنة والعمل جاءا بما يقتضى الإباحة على الجملة » (٢) .

إذن لا يشرع التعدد إلا مع مقدرة الرجل الصحية والجنسية والمالية والدينية على الزواج بأكثر من واحدة ، مع تحقيق العدالة بين زوجاته فى السكن والمودة والرحمة وما يتفرع منهما عنهما ومن واجبات وآداب .

ثانيًا : النهى عن التعدد بهدف الاستمتاع بالنساء بتكرار الزواج والطلاق :

التعدد فى الإسلام ليس بهدف الاستمتاع الجنسى ، ولكنه لأسباب أخرى

---

(١) أبو داود (٢١٣٣)، والترمذى (١١٤٢)، والنسائى (٣٩٤٢)، وابن ماجه (١٩٦٩)، وأحمد ٢/٢٤٧ .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص١٢١ .

ـ سنبينها فى مبحث لاحق ـ وقد لعن الرسول ﷺ من يعدد بهدف الاستمتاع الجنسى ، واللعنة تعنى الطرد من رحمة الله ، وغضبه عز وجل ، للاستهانة بنعمة الله فى الزواج .

ويقول قاسم أمين عن ذلك : « من احتقار الرجل للمرأة أن يملأ بيته بجوار بيض أو سود ، أو بزوجات متعددات يهوى إلى أيهن شاء ، منقادًا إلى الشهوة مسوقا بباعث الترف ، وحب استبقاء اللذة غير مبال بما فرضه عليه الدين من حسن القصد فيما يعمل ولا بما أوجبه عليه العدل فيما يأتى » (١) .

وعلى ذلك فآراء قاسم أمين تتفق مع الشريعة الإسلامية فيما يخص النهى عن التعدد بهدف الاستمتاع بالنساء فقط .

ثالثًا : تحريم التبرج والاختلاط الغير مشروع بين الرجال والنساء وحل مشاكله :

الاختلاط الغير مشروع مع إبداء النساء لزينتهن ، هو أول مراحل إغواء الرجل وتفكيرهم فى الزواج بغير الزوجات ، فالمرأة هى التى تُغرى الرجل والرجل هو الذى يسعى إليها ، وهناك فترات فى حياة الرجل يكون أشد ميلاً إلى غير الزوجة ، منها سنوات انشغال الزوجة بأكثر من ولد ، وبالتالى يزيد إلى حد ما الانشغال عن الزوج ، ومن هنا قد يرى الرجل فى المتبرجة ما لا يراه فى زوجته من زينة ، يزينها له الشيطان وترغبها نفسه الأمارة بالسوء ، فلا يكون أمام الزوج سوى خيارين ، إما الزواج بمن أغرته ، أو الزنا معها وهو ما لا يرتضيه المسلم ، ولذلك فالأسهل والأيسر اللجوء للزواج الثانى والتعدد .

وحرصًا من الرسول ﷺ على تخليص الرجل من مثيرات الشهوة أولاً بأول فقد أمره « إذا رأى أحدكم امرأة أعجبته فوقعت فى نفسه . . . فليعمد إلى امرأته فليواقعها . . فإن ذلك يرد ما فى نفسه » (٢) والحديث فيه دعوة صريحة للرجل بأن يفرغ شحنة إعجابه بزوجته حتى لا تبقى فى نفسه أى شهوة لأخرى .

هذا ، والملاحظ أن قاسم أمين لا يرى فى الاختلاط بين الرجال والنساء مانعًا من المنطق أو الدين فيقول : « ولم يقسم « الله » الكون بينهما قسمة إفراز، ولم يجعل جانبا من الأرض للنساء يتمتعن بالمنافع فيه وحدهن ، وجانبًا

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٢٨ . (٢) الحديث رواه مسلم.

للرجال يعملون فيه فى عزلة عن النساء ، بل جعل متاع الحياة مشتركًا بين الصنفين، فكيف يمكن مع هذا لامرأة أن تتمتع بما شاء الله أن تتمتع . . . إذا حظر عليها أن تقع تحت أعين الرجال إلا من كان من محارمها ؟ لا ريب أن هذا مما لا يسمح به الشرع ، ولن يسمح به العقل . .» (١) .

ونحن نقول :

إن الله خلق الكون بأسره لخدمة الإنسان ، ذكرًا وأنثى ، وكون الحق سبحانه قد وضع ضوابط لحجاب المرأة ، فهذا لا يمنعها من التمتع بما أحل الله ، فتستطيع أن تسيح فى الأرض للنزهه والتريض والحج مع محرم ووفقًا للضوابط التى شرعها الإسلام، وهذا ليس بحجر على حرية المرأة ولكنه تنظيم لهذه الحرية.

وهل يمنع المرأة التمتع بمباهج الحياة وهى مغطاة الوجه واليدين ؟! وكيف يدعى قاسم أن آداب الحجاب بالنسبة لغير المحارم ليست من الدين وينكرها العقل. . . ؟! هل غابت عنه أحكام الآية (٣٠) من سورة النور ؟!

هذا ، وقد أنكر قاسم ستر الوجه ولم يجعله من أدب الناس فقال : « وأى علاقة بين الأدب وكشف الوجه أو ستره ؟ وعلى أى قاعدة بنى الفرق بين الرجل والمرأة ، أليس الأدب فى الحقيقة واحدًا بالنسبة للرجال وللنساء ، وموضوعه الأعمال والمقاصد لا الأشكال والملابس ؟

أما خوف الفتنة الذى نراه يطوف فى كل سطر مما يكتب فى هذه المسألة تقريبًا فهو أمر يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال وليس على النساء تقديره ولا هن مطالبات بمعرفته ، وعلى من يخاف الفتنة من الرجال أن يغض بصره ، كما أنه على من تخافها من النساء أن تغض بصرها ، والأوامر الواردة فى الآية الكريمة موجهة إلى كل من الفريقين بغض البصر على السواء ، وفى هذا دلالة واضحة على أن المرأة ليست بأولى من الرجل بتغطية وجهها ، عجبًا ! لم لم تؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء إذا خافوا الفتنة عليهن » (٢) .

ونحن نقول له :

إن من قمة الأدب والمروءة الالتزام بتعاليم الدين ، وعندما فرض الله أحكام

---

(١) تحرير المرأة ص ٦٦ .

(٢) المرجع السابق ص ٦٨ .

الحجاب على النساء ، ولم يفرضها على الرجال كان لعلة وهى أن الرجال مكلفون بالسعى والعمل وبالتالى طبيعة وظيفتهم فى الحياة تستدعى كشف الوجه واليدين ، أما عمل المرأة فلضرورة تبيح محظورًا .

كما تجدر الإشارة والتنوية إلى أن آيات غض البصر ، بدأت بالأمر للرجال : ﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا ﴾ [النور : ٢٩] ولفظ المؤمنين يشمل النساء أيضًا ، بمعنى أن الأمر كان للرجال والنساء على السواء ، ثم جاءت الآية (٣٠) النور لتخصص للنساء بعض الأحكام منها : غض البصر ، وحفظ الفرج ، وإبداء الزينة لمحارم وغيرهم محددين ، إذن الله وهو خالق كل شىء ويعلم عن خلقه ما لا نعلمه ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ [الملك : ١٤] قد شدد على النساء غض البصر وعدم إبداء الزينة ، لعلمه تبارك وتعالى أن النساء أكثر إغواءً للرجال ، فجسد المرأة كله مفاتن ومغريات فالمرأة تبدى وتعرض الجمال ، والرجل هو الذى يتسابق وينساق إليه .

ومعلوم أن تصرفات الأنثى هى التى تعطى الضوء الأخضر للرجل ليكمل المسير ، أو الضوء الأحمر ليقف عند حده .

رابعًا : الوصايا الشرعية المتكررة للمرأة بحُسن البعولة وتحقيق السكن والمودة والرحمة :

ومن هذه الوصايا :

١ ـ **تلبية الزوجة المستمرة والمتكررة لرغبة زوجها الجنسية** كمًا ، والتفاعل البناء معه كيفًا ، بحيث يتوفر الانسجام العاطفى والنفسى والجنسى ، وتحقيق الرغبات المتبادلة بين الزوجين بهدف الوصول إلى أقصى درجة إشباع عاطفى وجنسى ، وهو ما يعد أهم أسس السعادة الزوجية الحقيقية ، التى تؤدى إلى عدم التفكير فى الخيانة الشرعية بالزواج بأخرى أو النفسية بقبول واقع غير مرضىً عنه من قبل المرأة ، أو بالبحث عن بديل أو بديلة مع استمرار الحياة الزوجية الرسمية والشرعية ، نعوذ بالله من ذلك .

وعن أبى هريرة قال الرسول ﷺ :« إذا دعى الرجل امرأته إلى فراشه ، فلم تأته ؛ فبات غضبان عليها ، لعنتها الملائكة حتى تصبح » (١) .

كما قال الرسول ﷺ : « لا يحل لامرأة أن تصوم وزوجها شاهد ـ أى

---

(١) الحديث ، متفق عليه .

حاضر ـ إلا بإذنه ، ولا تأذن فى بيته إلا بإذنه » [1] .

كما أمر الرسول ﷺ الرجال بحسن معاشرة النساء وألا يمنعها نفسه إن أرادت فقال ﷺ : « فى بضع أحدكم صدقة » والحديث فيه الحث على مداومة إعطاء الزوجة حقها فى الجماع [1] .

« كما أوصى الرسول بضرورة إعداد المرأة عاطفيا للجماع فقال : « لا يقعن أحدكم على امرأته كما تقع البهيمة ، وليكن بينهما رسول » قيل : وما الرسول يا رسول الله ؟ قال : « القبلة والكلام » ، وعن جابر بن عبد الله : نهى الرسول ﷺ عن المواقعة قبل الملاعبة .

وقد أمر الرسول الزوج بالحرص على رضا الزوجة الجنسى وقضاء شهوتها كاملة فقال : « إذا جامع أحدكم أهله فليصدقها . . . ثم إذا قضى حاجته قبل أن تقضى حاجتها فلا يعجلها حتى تقضى حاجتها » .

هذا ، وقد صرح القرآن الكريم بشرعية الاستمتاع الجنسى والمواقعة الجنسية بأى طريقة تحقق للزوجين التمتع الجنسى الكامل طالما كانت فى محل الشهوة الطبيعى « الفرج » ، فقال تعالى : ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُم ﴾ [البقرة : ٢٢٣] وسبب نزول الآية أن اليهود ادعوا أن إتيان المرأة بطرق معينة ينتج أبناء معاقين ، فكذبهم القرآن فى ذلك ، وأجاز حرية الجماع بأى طريقة وقد أيد العلم القرآن الكريم .

قاسم أمين ونظرته للعلاقة الزوجية الخاصة :

الدارس كتابى قاسم أمين ، تحرير المرأة ، والمرأة الجديدة ، يجد أنه ينظر إلى العلاقة الزوجية الخاصة « الجماع » من زاوية واحدة وهى ضرورة الحب العاطفى المتبادل بين الزوجين والقائم على أسس قويمة من تكافؤ التربية والتعليم، وهذا الحب لابد منه قبل الزواج ، أما ما ينشأ بعد الزواج من حُب فلا اعتراف به عند قاسم أمين .

كما أنه يرى أن الزوجة لا هم لها إلا قضاء شهوتها مع الزوج ، فهى لا تعطيه فرصة للعلم والدراسة ، ويبدو ذلك فى قوله : « المرأة جاهلة تحكم على

---

(١) الحديث متفق عليه عن أبى هريرة .

(٢) محمود بن الشريف : الإسلام والحياة الجنسية ص٣٠ ـ سلسلة كتب التصوف الإسلامى .

الرجل بقدر عقلها ، فأحسن رجل عندها هو من يلاعبها طول النهار وطول الليل، ويكون عنده مال لا يفنى لقضاء ما تشتهيه من الملابس والحلى والحلوى ، وأبغض الرجال عندها من يقضى أوقاته فى الاشتغال فى مكتبه» (١) .

كما يقول : « وأما عدم الحب من طرف المرأة فلأنها لا تذوق معنى الحب، ولو أردنا أن نحلل إحساسها بالنسبة لزوجها ، نجد أنه يتركب من أمرين: ميل إليه من حيث هو رجل أبيح لها أن تقضى معه شهواتها ، وشعور بأن هذا الرجل نافع لها للقيام بحاجات معيشتها » (٢) .

ومن الفقرتين السابقتين يتضح أن قاسم أمين كان يؤمن بالحب والغرام وما يسمى بالرومانسية ، ويرى أن العلاقة الزوجية الجادة العملية أمر هامشى لا قيمة له ، وكأن الأسر والعائلات والبيوت لا تبنى إلا على الغرام .

٢ ـ إبداء جميع أنواع الزينة للزوج وإظهار المحاسن :

للزوجة الحق فى التجمل للزوج باستعمال العطور والحلى والملابس الكاشفة عن المفاتن والموضحة لها والمبرزة لجمالها .

كما أن من حق النساء تزين الرجال لهن يقول إبن عباس عن تفسير قوله تعالى : ﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء : ١٩] إنى أحب أن أتزين لزوجتى كما تتزين لى .

وإبداء الزينة وإظهار المحاسن والتفنن فى ذلك ، أمر كفيل بدوام المحبة المتبادلة والعطاء العاطفى والجنسى المستمر ، الذى يمكنه أن يتغلب على ما يصيب الحياة الزوجية أحيانًا من روتينية واعتياد تجعل العلاقة الزوجية ـ أحيانًا ـ مملة لا تجديد فيها أو ابتكار . ومعلوم أن الزوجة الصالحة تستطيع بما أوتيت من جمال ودهاء وإغواء وتزيين ، أن تتغلب على هذه المشكلة فتجعل الحياة الزوجية دائمًا فى حركة من حُسن عِشرة ومودة ورحمة وإشباع عاطفى وجنسى .

رأى قاسم أمين فى أسباب استمرار نجاح الحياة الزوجية :

يؤمن قاسم أمين بأن العلاقة الزوجية الخاصة معرضة للتلاشى والانهيار بمضى المدة فيقول : « من البدهى أن تكرار لذة بعينها مهما كانت سواء كانت لذة نظر أو سمع أو لذة ذوق أو لذة لمس يفضى فى الغالب إلى فقد الرغبة منها فيأتى

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٤٥ . (٢) المرجع السابق ص٤٤ .

زمن لا تنتبه الأعصاب لكثرة تعودها إياها» [1] .

ويرجع قاسم أمين هذه اللذة إلى الحب فيقول : « فهذا الحب لا يمكن أن يوجد بين رجل وامرأة إذا لم يوجد بينهما تناسب فى التربية والتعليم » [2] .

ونحن نقول :

ليس التناسب فى التربية والتعليم هو ما يحافظ على استمرار الحياة الزوجية، أو الحب الناشئ عن ذلك ، ولكن المشاركة فى السراء والضراء ، والاهتمام المشترك بالمشاعر الإنسانية ، والتجمل والتزين وإظهار العواطف المتبادلة ، والحصول على اللذة المشتركة .

والملاحظ أن قاسم أمين لم يتعرض لواجب المرأة نحو زوجها من إبداء زينة وإظهار محاسن وعرض الإبهار الأنثوى ، فهو لا يعير ذلك التفاتًا ، مع أهميته فى مداومة الحب المتبادل ، وملء الفراغ العاطفى والجنسى الذى قد ينشأ عند الرجل من الملل لاعتياد تكرار لذة بعينها .

ولكنه أوضح إهمال المرأة الغير متعلمة لزوجها فقال : «لا يرى منها زوجها ما يروق نظره ، فأكثر النساء لم يتعودن تسريح شعورهن كل يوم ، ولا الاستحمام أكثر من مرة فى الأسبوع ، ولا يعرفن استعمال السواك ، ولا يعتنين بما يلى البدن من الملابس مع أن جودتها ونظافتها لها أعظم تأثير فى استمالة الرجل ، ولا يعرفن كيف تتولد الرغبة عند الزوج ، وكيف يحافظن عليها ، وكيف يمكن تنميتها ، وكيف تكون موافاتها ، ذلك لأن المرأة الجاهلة تجهل حركات النفس الباطنة ، وتغيب عنها معرفة أسباب الميل والنفور » [3] .

ونحن نقول :

إنه لا علاقة بين التعليم ونظافة وزينة وإغراء المرأة لزوجها ، فهذه أمور فطرية تولد بها البنت وتستمر عليها من المهد إلى اللحد ، ولا علاقة بين التعليم وبين ذلك ، وإن كنا لا ننكر أن للتعليم أثرًا فى كيفية التزين والسير على أحدث الموضات فى المكياج والشعر وخلافه ، ولكن واأسفاه أصبح ذلك لغير الأزواج وعند الذهاب للعمل ، وليس لفراش الزوجية !!!

(١ ، ٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٤٢ .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٤٣ ، ٤٤ .

٣ ـ حُسن الاختيار المتبادل بين الزوج والزوجة ورؤية كلاهما الآخر :

إن حسن الاختيار المتبادل وتلاقى العواطف يعد من شروط نجاح الزواج المستقبلية فالانطباع الأولى الإيجابى من الخطيبين هو البذرة التى يمكن إثباتها فتصبح شجرة سليمة هى أسرة جديدة وثمارها الطيبة أبناء بررة .

وقد حدد الرسول أول شروط حُسن الاختيار المبدئى من قبل الأهل وأولى الأمر فقال : « إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه ، إلا تفعلوا تكن فتنة فى الأرض وفساد كبير » .

والحديث يحمل بين طياته التحذير من طغيان الماديات على الروحانيات والأخلاق الحميدة ، فإن استعلاء المادة ممثلة فى المال والمنصب والجاه وغيره على الروح ممثلة فى الدين والخلق القويم والآداب السامية ، هو بداية الفساد فى الأرض ، وأيضًا نهاية الحياة الزوجية أو فشلها إذا قامت على الاختيار الغير دينى والبعيد عن الخلق ، وقد أوضح الرسول ﷺ أهمية ذات الدين فقال : « تنكح المرأة لأربع . . . الحديث » .

كما أجاز الإسلام لقاء الخطيبين فى وجود محرم وجواز النظر المتبادل فقد قال الرسول ﷺ : « انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما » .

والحديث وإن كان الأمر فيه للرجل فهو للمرأة أوجب ولكنه كان موجها للرجال ؛ لأن رؤية النساء كانت صعبة لحجابها ، أما الرجل فرؤية المرأة له سهلة لأنه لا يحتجب .

والإسلام لا يجيز الخلوة التامة بين الخطيبين لأنهما لم يصبحا بعد زوجين ، وحيث إنه فى عهد قاسم أمين لم يكن يسمح فى أغلب الأحيان برؤية الخطيبة نهائيًا والخطيبة أيضًا لخطيبها ، فقد عانى المجتمع من حالات كثيرة من عدم نجاح الحياة الزوجية ومداومتها مما أدى إلى التعدد .

وقد دعا قاسم أمين إلى العودة إلى أحكام الدين الإسلامى فيما يخص ضرورة الرؤية والتفاهم المتبادل بين الخطيبين فقال : « فمن دواعى المودة ألا يقدم الزوجان على الارتباط بعقد الزواج إلا بعد التأكد من ميل كل منهما للآخر ، ومن مقتضى الرحمة أن يحسن كلاهما العشرة مع بعضهما ، ولكن لما غفلنا عن معنى الزواج الحقيقى الشرعى استخففنا به وتهاونا بواجباته ، وكان من نتائج

ذلك أن يتم عقد الزواج قبل أن يرى كل من الزوجين صاحبه .... إن جميع المذاهب على اتفاق على أن نظر المرأة المخطوبة مباح لخاطبها .... كيف يمكن لرجل وامرأة سليمى العقل قبل أن يتعارفا أن يرتبطا بعقد يلزمهما أن يعيشا معًا ، وأن يختلطا كمال الاختلاط ؟ »[1] .

ولا شك أن رؤية قاسم أمين تتوافق مع أحكام الإسلام .

نقد حرية الخطيبين فى الخلوة الكاملة :

قد يرى الداعون إلى حرية الخطيبين فى اللقاء والخلوة بلا رقيب ، أن فى ذلك ضرورة ، ليدرس كل منهما الآخر ، فيعرف طباعه ويتعرف عاداته وتقاليده، ويكشف مزاياه وعيوبه ، مما قد يزيد مستوى التفاهم العقلى والوجدانى والعاطفى ، مما يؤدى إلى قيام حياة زوجية راسخة وثابتة .ولكن الواقع ـ غالبًا ـ أثبت غير ذلك ، ففى أثناء الخطبة يظهر كل خطيب للآخر ما لا يبطن ، فيظهر عظيم السجايا وجميل الطباع ، ويخفى البلايا وسوء الأخلاق ، كما أن التهاب العوطف بمعسول الكلام ، قد يوارى الكثير من العيوب الخطيرة والطباع المهلكة ، فمرآة الخطبة كمرأة الحب عمياء ، فالجميع يعمل جاهدًا على إظهار ما يزينه ، وإخفاء ما يشينه .

وغالبًا العذارى من البنات ، قليلات خبرة ، عديمات حيلة يصدقن معسول الكلام ، وتلعب بهن ريح العواطف ، ثم العواصف فيسمحن للخطيب بتجاوز الحدود ، والعبور إلى غير المألوف ، تحت مسمى الحب والغرام، فيبدأ التعبير باللمسات والآهات ، فينسى الخطيبان أن الخطبة هى وعد بالزواج وليست زواجًا، فتكون النتيجة ـ غالبًا ـ أن تهون الخطيبة فى عينى خطيبها وتفقد من الكرامة والشرف والعفة بقدر ما سمحت به من تجاوزات ، فيفقد الخطيب الثقة بها ، وقد يتركها ويرجع فى خطبته ، أو يتزوجها وقد انهارت جسور الثقة بينهما. وأحيانًا لا يتحكم الطرفان فى شهوة طاغية ، ورغبة مجنونة ، فيحدث ما لا يحمد عقباه، فإن نبذها فقد ضاع الشرف والكمال والعفاف وأصبحت معيبة عاطفيا وجسديًا وخلقيًا ، وإن أمسكها وتزوجها فلن تعرف السعادة طريقها لبيت عُرى من الثقة والأمن والأمان .

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص١١٠ .

وبالدراسة الجادة لحياة بعض المشاهير من الممثلات يتضح لنا حقيقة أن مرآة الخطبة كاذبة لا تظهر سوى أوهام .

« برجيت باردو ممثلة فرنسية شهيرة تقول عن زوجها الثانى : أثناء الخطبة : أحبه كثيراً . . . إلى درجة أننى أحس أن ألمه هو ألمى . . وبعد الطلاق كان مشكلة حياتى .

وقد وصفت زازا جابور أحد أزواجها فقالت : أثناء الخطبة كان مثل قطعة السكر ، ولكن من ماس وبعد الزواج قالت : أنا لم أكره رجلاً بهذا القدر . . حتى أننى أعدت إليه ماساته.

وقالت إليزابيت تايلور عن أحد أزواجها أثناء الخطبة : إنه يفهمنى كامرأة . . وأيضاً كممثلة ، بعد الزواج : سقط من سمائى الوردية بشدة ، لقد فقدت بعض وزنى ، ولم أعد آكل إلا طعام الأطفال » (١).

وهكذا يتضح أن الخلوة الكاملة لها من المضار ما لا ينكر ، وأن تعاليم الإسلام التى تقضى بعدم الخلوة الكاملة ، هى التعاليم النافعة التى يجب الالتزام بها والسير على نهجها .

---

(١) محمد رشيد العويد : من أجل تحرير حقيقى للمرأة ص ١١٠ ، ١١١ بتصرف يسير ـ دار حواء .

المبحث الثانى
ضرورات إباحة التعـدد

جاء الإسلام وكان التعدد واقعًا له وجود وحياة ، « لم ينشئه الإسلام ، ولم يوجبه ولم يستحسنه ، ولكنه أباحه عن كراهة ، وفضل عليه الاكتفاء بالزوجة الواحدة ، وفضله على تعطيل الزواج فى مقصده الطبيعى والشرعى ، بقبول العقم ، والتعرض للغواية وفرض العزوبة ـ وهى تجمع بين العقم والعزوبة معًا ـ على كثير من النساء عند اختلاف النسبة العددية بين الجنسين ، وتزيد على ذلك أنه حفظ للمرأة حريتها التى يتشدق بها نقاد الشريعة الإسلامية فى أمر الزواج ؛ لأن إباحة تعدد الزوجات لا تحرم المرأة حريتها ، ولا يكرهها على قبول من لا ترتضيه زوجًا لها ، ولكن تحريم التعدد يكرهها على حالة واحدة، لا تملك غيرها ، وهذه الحالة هى الرضا مضطرة لعدم الزواج والعنوسة إذا لم يتقدم لها خاطب لم يسبق له الزواج »[1] .

وللتعدد فى المفهوم الإسلامى ضرورات منها :

أولاً : الضرورة الجنسية :

هناك صنف من الرجال ـ وهم قلة ـ لا تكفيه الزوجة الواحدة ، فطبيعته تطمع فى الاستمتاع بأكثر من واحدة ، فالناس فيما يعيشون مذاهب ومواهب ، وهناك صنف آخر لم يوفق فى زواجه لتحقيق الإشباع العاطفى والجنسى لسبب أو لآخر ، وقد تكون الزوجة مسؤولة عنه وشريكة فيه ، فبدلاً من الطلاق وزيادة عدد المطلقات فى المجتمع مع احتمال طمعهن فى أزواج الغير أو العكس، فيفضل الاحتفاظ بالزوجة الأولى والجمع بينها وبين الأخرى .

ثانيًا : الضرورات الإنسانية :

قد تصاب المرأة بمرض لا يرجى الشفاء منه أو يطول علاجه لسنوات ، مما يجعلها غير قادرة على أداء مهمة الزوجية والقيام بأعباء الأمومة ، فبدلاً من طلاقها من الإنسانية والرحمة تركها لتنعم بدفء الأسرة ، والعيش مع أولادها

---

(١) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن ـ دار الهلال ص٨٤ .

وعدم مفارقتها ، وضمان إنفاق الزوج عليها وإعالتها وعلاجها ، وهناك الكثير من النساء الفضليات التى قد تختار لزوجها زوجة صالحة ، فقد تخدمه وتخدم أولادها وتعاملهم كإخوة لأبنائها ، فالزواج هنا صيانة للزوج بدلاً من اللجوء للجنس المشاع وبنات الهوى وغيرهن .

كما قد تكون الزوجة عاقرًا لا تنجب فإذ أثبت ذلك فمن حق الزوج أن يتزوج بأخرى أن ينجب منه ، ولو حدث العكس فيجور للزوجة الطلاق بصورة أو بأخرى لتحقيق أمانيها فى الزواج والإنجاب من آخر .

وقد يكون لرجل إحدى القريبات من بنات العمومة أو الأخوال أو غيرهن ترملت فى ريعان الشباب ، ولها أولاد أو ليس لها ، ولا عائل لها سوى هذا القريب فبدلاً من كثرة اللقاء والتعرض للفتنة ، قد يفضل الزواج فى حالة كهذه، وغالبًا يحدث ذلك فى القرى إذا توفى أخ وله أولاد صغار ، فقد يرى المجتمع أن زواج أرملته من أخيه المتزوج أفضل لرعاية أولاد أخيه المتوفى ، بدلاً من احتمال زواج الأرملة من غريب قد لا يحسن للأولاد ، خاصة لو كان لديهم ميراث ذو قيمة ، ولكن يشترط موافقة الأرملة (١) .

هذا ، وقد أقر محرر المرأة « قاسم أمين » بجواز التعدد للأسباب الإنسانية فقال :

« ولا يعذر رجل يتزوج أكثر من امرأة ، إلا فى حالة الضرورة المطلقة ، كأن أصيبت امرأته الأولى بمرض مزمن لا يسمح لها بتأدية حقوق الزوجية . أقول ذلك ولا أحب أن يتزوج الرجل بامرأة أخرى حتى فى هذه الحالة وأمثالها، حيث لا ذنب للمرأة فيها . والمروءة تقضى أن يتحمل الرجل ما تصاب به امرأته من العلل كما يرى من الواجب أن تتحمل ما عساه كان يصاب به .

وكذلك توجد حالة تسوغ للرجل أن يتزوج بثانية إما مع المحافظة على الأولى إذا رضيت أو تسريحها إن شاءت : وهى ما إذا كانت عاقرا لا تلد ؛ لأن

---

(١) من شرائع اليهود زواج الأخ لأرملة أخيه التى لم تنجب حتى ينجب منها ولدا يسمى باسم المتوفى ، ولكن لا رأى للمرأة فى ذلك « انظر الكتاب الأول : المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام » .

كثيرًا من الرجال لا يتحملون أن ينقطع النسل فى عائلاتهم » (١) .

وهذا الرأى هو رأى شخصى وليس رأيًا شرعيًا لقوله : « ولا أحب»، ولا شك أن من كمال الخلق واكتمال المروءة عدم زواج الرجل من أخرى فى حالة الضرورة المطلقة وهى مرض الزوجة أو عقمها . . . ولكن هل كل البشر يتميزون بالكمال الأخلاقى المطلق . . . بالطبع لا . . . فهناك من يستطيع ذلك وهم الندرة ، وسوف يعانون مقابل هذا الكمال من التحرق ـ محاولة قتل الشهوة فى النفس ـ وقد يفلحون أو لا يفلحون ، كما ستظهر مشاكل رعاية البيت وتربية الأولاد ، وهى مشاكل لا حل لها إلا بعمل امرأة أخرى ، وليس الجميع يستطيع الاستعانة بخادم أو خادمة قد ينشأ عن وجودها مشاكل جديدة « وخاصة عند الاستعانة بخادمة » . كما أنه فى حالة عقم المرأة وعدم الزواج بأخرى قد يؤدى ذلك إلى الصراع العقلى والنفسى وتأنيب الضمير طوال عمر المرأة لإحساسها أنها ظلمت زوجًا له حق الإنجاب من أخرى . والصالحات من النساء قد تختار لزوجها عروسًا أخرى لتحقق أمانيه فى الإنجاب ، ونرى فى ذلك « تضحية النبلاء » .

ولا ينبغى أن ننسى أن من حق الزوجة طلب الطلاق بسبب عقم الزوج وإن لم يرتضِ الزوج جاز للحاكم التطليق ، فإذا كان من حق المرأة الطلاق للزواج من آخر والإنجاب فمن الإنسانية والرحمة والخلق الرفيع السماح للرجل بالزواج من أخرى لتحقيق نفس المأرب ، وهو من أهم غايات الحياة .

ثالثًا : الضرورات الاجتماعية :

هناك بعض المجتمعات المغلقة التى لا تسمح بزواج بناتها من غير القبيلة ، أو التى تسمح ولا تتوفر لها الفرصة ، كالصحارى والمناطق النائية والعرب الرُحل، التى يزيد فيها أعداد النساء عن الرجال ، ويُنظر لكثرة الإنجاب فيها كفضيلة ، فهذه المجتمعات ترى فى التعدد واجبًا على الرجال وفضيلة للنساء ، وهناك بعض الدول تشجع على التعدد وتحث عليه وتسن القوانين المشجعة والميسرة لذلك ، خاصة بعد الحروب المهلكة والأوبئة الفتاكة ، هادفة من ذلك حماية أعراض النساء الغير متزوجات وطمعًا فى زيادة النسل والإنجاب .

ويقول الأستاذ العقاد : « الواقع أن التشريع الذى يحرم تعدد الزوجات لا

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص١٢٠ .

يحد من حرية الرجل ، بمقدار ما يحد من حرية المرأة ؛ لأن الرجل لا يعدد زوجاته بغير مشيئة المرأة » [1] .

وداعية تحرر المرأة قاسم أمين لا يعترف بهذه الضرورة ، ويرى أن التعدد لا يجوز إلا فى حالتين لا ثالث لهما ، فيقول : « وكذلك توجد حالة تسوغ للرجل أن يتزوج بثانية مع المحافظة على الأولى إذا رضيت أو تسريحها إن شاءت ، وهى ما إذا كانت عاقرًا لا تلد . . . . وحالة الضرورة المطلقة ، كأن أصيبت امرأته الأولى بمرض مزمن لا يسمح لها بتأدية حقوق الزوجية » [2] .

---

(١) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن الكريم .

(٢) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١٢٠ .

المبحث الثالث

مزايا تعدد الزوجات فى الإسلام

للتعدد مزايا جمة لا يمكن إنكارها كعلاج ناجع لمشاكل يجب حلها فإن لم تحل صارت أمراضًا اجتماعية تصيب أخلاق وآداب المجتمع ودينه . ومن هذه المزايا .

أولاً : تحقيق التكافل الاجتماعى والتوزيع الأمثل للثروة :

قد يكون الرجل غنيًا ويستطيع إعالة أكثر من زوجة ماليًا وجنسيًا ، ومن الصعوبة بمكان أن يتزوج ابنة غنى مثله يرتضى زواج ابنته مع أخرى أو أخريات، ولذلك يلجأ الرجل للزواج من فقيرات « أبكار أو مطلقات أو أرامل » لن يستطيع أغلبهن الزواج من غيره ـ فى أغلب الأحيان ـ لفقرهن .

فسيدفع الزوج الغنى مهرًا وسيقدم هدايا ، ويمكنه الالتزام برعاية أولاد زوجته الفقيرة ، إذا اشترطت بقاء أولادها معها كما اشترطت أم سلمة ذلك على الرسول ﷺ ، وكما أحله القرآن الكريم فى قوله تعالى : ﴿ **حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالاتُكُمْ وَبَنَاتُ الأَخِ وَبَنَاتُ الأُخْتِ وَأُمَّهَاتُكُمُ اللاَّتِي أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَاتُكُم مِّنَ الرَّضَاعَةِ وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ وَرَبَائِبُكُمُ اللاَّتِي فِي حُجُورِكُم مِّن نِّسَائِكُمُ اللاَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ . . . .** ﴾ [النساء : ٢٣] .

كما قد ترث الزوجة زوجها فى أغلب الأحيان . . وبذلك يتم التوزيع الأمثل للثروة .

ثانيًا : المساعدة فى النهوض بأعباء الحياة :

النساء والأبناء قد يكونون من القوة العاملة الرخيصة الفعالة فى بعض المجتمعات الريفية ـ قبل الميكنة الزراعية ـ وأيضًا فى المجتمعات الحرفية البدائية ، وقد يكون تعدد الزوجات وكثرة الأبناء من سُبل المساعدة فى النهوض بأعباء الحياة، وقد يصح ذلك نادرًا حاليًا ، فتكاليف التربية تفوق الوفر الناتج عن هذه العمالة الرخيصة ، والتقدم العلمى حد من الحاجة إلى العمالة .

ثالثًا : التعدد هو الوسيلة الشرعية والاجتماعية والصحية الوحيدة لإشباع النهم الجنسى لبعض الرجال والنساء :

إنها حقيقة مؤكدة قد يتغافل عنها البعض حياء ، والواقع أن هناك بعض الرجال والنساء لهن من المزايا الجسدية والنفسية والجنسية ما يجعلهم لا يكتفون بالزوجة أو الزوج الواحد ، فالتعدد أفضل علاج لهم ، وهو أفضل من اللهث خلف بائعات الهوى من عاهرات محترفات ، أو اتخاذ العشيقات من المطلقات والأرامل المتعطشات للرجال ، ولا مانع لديهن من إقامة علاقات جنسية غير شرعية .

والزواج الشرعى هو طوق النجاة من الإصابة بالأمراض الجنسية المعدية والمهلكة والتى يمكن عن طريق عاهرة واحدة إصابة العديد من الرجال بها كالإيذر وغيرها . وهذه الأمراض أصبحت آفة الدول المتحررة جنسيًا ووباء يصعب علاجه .

والتعدد أقل نفقة فالإنفاق على بائعات الهوى والعشيقات والملذات فى طريق الحرام أكثر نفقة من الإنفاق على زوجة أخرى فى حدود ما أحل الله .

ولا يجب أن ننسى أن التعدد ينشئ علاقات أسرية جديدة ومتعددة مما يؤدى إلى زيادة العلاقات الاجتماعية وأواصر المحبة والقربى أما التسرى واتخاذ العشيقات فقد تكون نتائجه جرائم الشرف التى يذهب ضحاياها من القتلى الكثير ومن ضياع مستقبل الحياة أكثر .

رابعًا : التعدد هو الحل الأمثل فى تقليص عدد الأرامل والمطلقات وحل مشاكل زيادة أعداد النساء عن الرجال والقضاء إلى أقصى حد على ظاهرة العنوسة :

وهناك حقيقة طبيعية مؤكدة وهى أن عدد المواليد من الإناث فى أى دولة أكثر من الذكور . ففى أمريكا على سبيل المثال كان عدد النساء يزيد عن الرجال ٨و٧ مليون طبقًا لإحصائيات عام ١٩٨٧م. و « هناك عوامل عديدة لزيادة عدد النساء وانخفاض عدد الرجال فى مجتمع ما ، وعلى سبيل المثال : الحروب فإن أغلب قتلاها من الرجال ، لقد قتل فى الحرب العالمية الأولى « ١٩١٤م ـ ١٩١٨م » أكثر من ثمانية ملايين جندى ما عدا ضحاياها من المدنيين الذين كانت غالبيتهم من الرجال ، وقتل فى الحرب العالمية الثانية « ١٩٣٩م ـ ١٩٤٥م » أو

أصيب بعاهات جسدية ٦٥ مليون شخص أغلبهم من الرجال ، وفى الحرب ما بين العراق وإيران (١٩٨٠م ـ ١٩٨٨م) ترملت ٨٢٠٠٠ امرأة إيرانية ، بينما وصل عدد النساء العراقيات اللائى فقدن أزواجهن فى هذه الحرب حوالى مائة ألف امرأة » (١) .

ويجب مراعاة أن من يقتل فى الحروب هم فى سن الشباب أى سن التجنيد « ٢١ ـ ٣٥ » سنة وزوجاتهم متوسط أعمارهن « ١٨ ـ ٣٠ » أى فى سن الأنوثة والشباب والحاجة الملحة إلى زواج من آخر ولها الحق القانونى فى ذلك .

كما أن حوادث الطرق أغلب ضحاياها رجال .

ودائمًا تسفر الأوبئة والكوارث الطبيعية عن مقتل أعداد هائلة من الرجال يفوق عدد النساء حيث إن الرجال دائمًا فى حركة خارج البيوت ، والنساء غالبًا محدودى الحركة خارجها .

إذن التعدد هو العلاج الناجع والأكيد والمثالى للقضاء لأقصى حد على مشاكل المطلقات والأرامل وزيادة أعداد الإناث عن الرجال ، والقضاء على ظاهرة بدأ الخوف منها فى المجتمع المصرى هذه الأيام . . . ألا وهى ظاهرة العنوسة التى تعنى الموت فى حياة ، والدفن فى مقبرة الوحدة والشقاء ، والحرمان من دفء زوج أو حنان بنت ، أو رعاية ابن فى الكبر .

خامسًا : التعدد كحل لمشكلات عدم الإنجاب :

قد لا يثمر الزواج أبناء ، مما يجعل الحياة جحيمًا لا يطاق ، وهذه حقيقة ، والواقع أن هناك نسبة ضئيلة من الأزواج ترتضى بحكم الله فى ذلك ، ولكن النسبة الأكبر لا تتحمل ذلك ، فيبدأ الزوج أو الزوجة العاقر العلاج الذى قد لا يؤتى أو يحقق رجاء ، فيعشش الشقاء على البيت ، وتغادره السعادة بلا رجعة ، وهنا يكون الحل إما برضى الزوجة أن يتزوج عليها الزوج أخرى تحقق أمانيه . إذا كانت هى العاقر ـ أو يطلقها حتى تنال فرصة الزواج بغيره لتحقق أمنيتها فى الأمومة ـ إذا كان الزوج هو العاقر ـ وغالبًا فالمطلقة لهذه العلة لا تتزوج إلا رجلا يرغب فى التعدد لأى سبب من الأسباب .

---

(١) وحيد الدين خان : المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ص٢٣٨ ، ٢٣٩ ، دار الصفوة للنشر .

وأحيانًا لا يوجد سبب طبى أو علمى لعدم الإنجاب ، فيطلق الرجل امرأته ويتزوج كلاهما وينجب ، وهنا يكون التعدد سببًا من أسباب السعادة والهناء .

سادسًا: التعدد فى حالة مرض الزوجة الذى لا يرجى شفاؤها منه :

قد تصاب الزوجة بمرض عضال لا يرجى الشفاء منه ، وقد يقعدها عن الوفاء بحق الزوج الجنسى ، وبحق رعاية الأولاد ، فإذا أمسكها الزوج وتزوج بأخرى فقد أحسن إليها وإلى أولادهما ، فقد استمرت رعايته لها . وقامت أخرى برعايتها ورعاية الأبناء .

المبحث الرابع

نقد قاسم أمين للتعدد ورأيه فيه

لم يخل نظام التعدد فى الإسلام من نقد سواء من أهل الأديان السابقة ـ اليهودية والمسيحية ـ الذين آمنوا به وزاولوه ، ثم ألغوه دينيا وسمحوا به عرفيا ، عن طريق السماح باتخاذ الصديقات « العشيقات » .

وتقوم هذه الانتقادات على أساس بعض الشبهات نذكر منها :

أولاً : التعدد نظام بدائى متخلف :

يقول قاسم أمين عن ذلك : « تعدد الزوجات هو من العوائد « العادات » القديمة التى كانت مألوفة عند ظهور الإسلام فى جميع الأنحاء يوم كانت المرأة نوعا خاصا معتبرة فى مرتبة بين الإنسان والحيوان ، وهو من ضمن العوائد التى دل الاختيار التاريخى على أنها تتبع حال المرأة فى الهيئة الاجتماعية ، فتكون فى الأمة غالبا عندما تكون حال المرأة فيها منحطة ، وتقل أو تزول بالمرة عندما تكون حالها مرتقية ، إلا إذا كان التعدد لأسباب خاصة » (١).

وقد أوضح الداعية : أن سبب التعدد هو النظرة الدونية « المنحطة » للمرأة، وأن هذه النظرة لا تكون إلا عندما تكون قيمة المرأة منحطة .

هذا ، ونرى أنه قد جانب الصواب فى فكره ، فالتعدد كان فى كل الأزمان والبقاع وشتى الحضارات فى أوج تقدمها ؛ لأنه مرتبط بحاجة الإنسان وإن تفاوت مداه بين الشيوع والتفشى وبين الندرة والخصوصية ، ولكنه فى جميع الأحوال لم يزول بالمرة كما ادعى . . والدليل قائم على صدق دعوانا ، فالتعدد كان موجودًا فى اليهودية فى ذروة قوتها وحضارتها فى عهد داود وسليمان ، وكان مزاولاً فى المسيحية فى عهد الأباطرة العظام حُماة المسيحية والداعين لها

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١١٧ .

وكان أيضا فى عهد النبوة والخلافة الراشدة وفى عنفوان الحضارة الإسلامية . كما أنه يزاول بين الأغنياء والفقراء على السواء ، وقد تلغيه بعض القوانين ، ولكن المجتمعات تنشئه ولكن بصور أخرى ، كالزواج السرى ـ العرفى ـ أو اتخاذ العشيقات أو اللهو مع بائعات الهوى وبائعات الجنس .

وقاسم أمين لا يرى أن الحاجة الجنسية والمطلب العاطفى من أسباب إباحة التعدد ، ويعد التعدد بسببها عيبًا أخلاقيا فيقول : « أما فى غير هذه الأحوال ـ العقم ومرض الزوجة ـ فلا أرى تعدد الزوجات إلا حيلة شرعية لقضاء شهوة بهيمية ، وهو علامة تدل على فساد الأخلاق واختلال الحواس وشره فى طلب اللذائذ » (١) .

وهو بذلك يفترض الكمال المطلق الذى يصعب ويستحيل تحقيقه فليس كل الناس سواء ، والشريعة الإسلامية لا تفرض للمثل الأعلى الذى يتحقق به الكمال ، ولكنها تحل مشاكلهم عند الضرورة كبشر لا كملائكة مُنزلة من السماء إذن فهو غير واقعى فى فكره واستنكاره .

ثانيًا : التعدد هو إهانة شديدة للمرأة :

يقول قاسم أمين شارحًا ذلك : « وبدهى أن فى تعدد الزوجات احتقارًا شديدًا للمرأة ؛ لأنك لا تجد امرأة ترضى أن تشاركها فى زوجها امرأة أخرى ، كما أنك لا تجد رجلاً يقبل أن يشاركه غيره فى محبة امرأته . . .

وعلى كل حال فكل امرأة تحترم نفسها تتألم إذا رأت زوجها ارتبط بامرأة أخرى ، إذ لا يخلو حالها من أحد أمرين : إما أن تكون مخلصة فى محبتها لزوجها فتلتهب نيران الغيرة فى قلبها وتذوق عذابها ، وإما أن لا تكون كذلك لكنها راضية بعشرته بسبب من الأسباب » (٢).

ونحن نوافقه الرأى إلى حد ما فنقول :

لا شك أن غيرة المرأة وغضبها لزواج زوجها بأخرى حقيقة مؤكدة غير قابلة

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١٢١ .

(٢) المرجع السابق ص١١٧ ، ١١٨ .

للإنكار ، ولكنها تتفاوت طبقا لعادات المجتمعات وإحساس الزوجة بحق زوجها فى الزواج بأخرى واقتناعها بوجود مبرر شرعى لذلك ، فقد تفضل العاقر زواج زوجها بأخرى بدلاً من الصراع الداخلى بين الغيرة كامرأة والضمير كإنسانة ، كما يجب ألا ننسى أن الشرع أجاز للزوجة إذا أكلت الغيرة قلبها وعلمت أن زوجها ليس له حق شرعى للزواج بأخرى فلها أن تطلب الطلاق وإن لم يوافق الزوج للقاضى تطليقها .

ولا ننسى أن وجود بعض الآلام من تشريع وهو حقيقة واقعة ، لا يُسىء إلى التشريع طالما كان يحقق أهدافًا حيوية يتحقق من خلالها صلاح المجتمع ككل، فقد يبتر الإنسان جزءًا من جسده خوفا من فساد باقيه وطمعا فى شفاء الباقى منه.

ثالثا : التعدد يؤدى إلى النزاع بين الزوجات :

يقول قاسم عن ذلك : « وإذا قيل : إن التجارب دلت على إمكان الجمع بين امرأتين أو أكثر من ظهور رضاء كل منهن بحالتها . . . « فهذا » ليس بصحيح إلا فى بعض أفراد نادرة لا حكم لها فى تقدير حال أمة ، وأن وقائع المنازعات بين النساء وأزواجهن والجنايات التى تقع بينهم مما لا يكاد يحصى ، وهو شاهد على أن تعدد الزوجات مثار للنزاع بينهن وبين ضرائرهن وبين أزواجهن ومصدر لشقاء الأهل والأقارب ، . . . وأن ما يكون من ذلك الرضا فى القليل النادر ناشئ عن أن المرأة تعتبر نفسها متاعًا للرجل » [1] .

ونحن نقول :

إن هذه حقيقة لا جدال فيها إذا لم يكن الزوج قادرًا على الجمع ماليا وجنسيا وصاحب عزم وعقل وقوة شخصية .

وقد عبر المثل الشعبى عن ذلك فقيل: « زوج الاثنين يا قادر يا فاجر » أى إما قوى الشخصية مهاب يستطيع السيطرة على نسائه ، أو ضعيف ظلم نفسه بأمر لا يستطيعه .

---

(١) قاسم أمين: تحرير المرأة ص ١١٨ .

والواقع أن ما ينشأ من مشاكل نتيجة التعدد لا ترجع فى الغالب إليه ، ولكن مرجعها هو ظلم الزوج فى كثير من الأحوال للزوجة القديمة ، فهو قد يكون مندفعًا عاطفيا وجنسيا مع الزوجة الجديدة فينسى حقوق القديمة ولا يتبع نصائح وإرشادات الله الناهية عن ذلك ، حيث يقول تعالى : ﴿ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلاَّ تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ [النساء :٣] ﴿ وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ فَلا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ ﴾ [النساء :١٢٩]

فالآية الأولى تحذير لعدم التعدد ، والثانية تحذير وإرشاد لدفع مضار التعدد، وأمر بعدم الظلم .

ويذكر الحق تبارك وتعالى المؤمنين بحسن الخلق وحسن العشرة ﴿وَلا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُم ﴾ [البقرة : ٢٣٧] فاتباع المنهج الإسلامى القويم كفيل بالقضاء على جميع مشاكل التعدد والأسرة بصفة عامة .

رابعًا : التعدد يؤدى إلى الكراهية المتبادلة بين الأبناء غير الأشقاء :

يقول قاسم أمين عن ذلك : « إن الأولاد من أمهات مختلفة ينشؤون بين عواصف الشقاق والخصام ، فلا يجدون ما يساعد غرائزهم على تمكين علائق المحبة بينهم ، وينمى فى نفوسهم البغضاء »[1] .

ونحن نقول :

هذه الحقيقة قد تحدث بالقطع إذا كان التعدد بلا سبب شرعى وهدفه الوحيد هو الاستمتاع بالنساء فقط ، ولكنها قد تتلاشى نهائيا فى المجتمعات التى تؤمن بالتعدد كنظام اجتماعى سائد له مبرراته ، كما أن للرجل وحزمه وحُسن إدارته لبيته شأن كبير فى القضاء على هذه الحقيقة ، ويتحقق ذلك بالعدل بين الزوجات والعدل بين الأبناء فكم من إخوة أشقاء وهم ليسوا بأشقاء ، وإخوة من أمهات شتى وهم بحق أكثر من أشقاء .

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص ١١٩ .

خامسًا : زيادة النسل لزيادة الزوجات القابلات للحمل والولادة :

وهذه حقيقة مؤكدة خالية من أى افتراء أو مبالغة ، وهى ميزة عظمى إذا كان لدى الزوج الإمكانية المادية لتربية وتنشئة أولاده ، كما أننا كأمة إسلامية فى حاجة شديدة وملحة لزيادة النسل ، لتعويض ما سنخسره فى الحروب المهلكة التى تنتظرنا ، ولنا فى العراق وأفغانستان العبرة ، وهما بداية استعمار أمريكى غربى جديد ، يهلك النسل أولاً ، ويستولى على الحرث ،تحت مسميات شتى ظاهرها العفن وباطنها الدود ثانيا .

ولكن إذا لم تتوفر إمكانيات الزوج المادية لتربية أولاده من أمهات شتى ، فهنا تظهر الأمراض الاجتماعية التى لا نرجوها ، وعلى كل حال حاليًا أصبح الزواج من واحدة فقط هو غاية المراد من رب العباد ، ولم يعد للتعدد وجود يذكر ، ولعل هذه الإحصائية توضح ذلك [1] :

المتزوجون بعدد ٢ زوجة ٣٪ من عدد المتزوجين .

المتزوجون بعدد ٣ زوجة ١ فى الألف .

المتزوجون بعدد ٤ زوجة ١ فى الخمسة آلاف .

وهذه النسب أقل بكثير جدًا من حالات العشق وتعدد الأصدقاء والصديقات فى أوربا .

والحقيقة أن الدعوة لعدم التناسل وزيادة النسل ترجع إلى سببين :

١ ـ تفشى الفقر فى الأسرة كثيرة العدد .

٢ ـ زيادة أعباء الدولة لزيادة ما تقدمه من خدمات للنسل المتزايد .

ولا شك فى تحقق السبب الأول إذا كان الأب لا يملك ما ينفقه على أبناء كُثر .

أما بالنسبة للدولة فهذه حقيقة مؤكدة ، وهى تتزايد لعدم استغلال القوى البشرية الاستغلال الأمثل ، وعلى كل حال فسوف يأكل الاستعمار الحديث الملايين من أبناء الشعوب العربية والإسلامية بالقنابل الذكية والقنابل العنقودية ، وأم القنابل ، والقنابل الذرية المنضبة وغير المنضبة ، وإن غدًا لناظره لقريب .

---

(١) د/ محى الدين البار ـ منار الإسلام ـ عدد جمادى الأولى ١٤١٨هـ ، ١٩٩٧م .

المبحث الخامس

تعدد زوجات الرسول ﷺ

توطئة :

لم يستطع أعداء الإسلام الإساءة إلى الرسول ﷺ بالنيل من كمال أخلاقه ، أو الطعن فى حميد صفاته ، ولكن اتهموه ـ زورًا وبهتانًا ـ بأنه رجل مزواج ، غايته من الدنيا الاستمتاع بالنساء ، فقد استغلهن فى إشباع نهمه الجنسى ، وأيضا فى نشر دعوته .

وعن ذلك يقول الأب لويس موريرى L.Moreri (١) : « محمد نبى مزيف ، عربى الموطن ، ولد عام (٥٧١)م وفقا للتقدير العام . . فقد والديه وهو طفل ، وقام عمه أبو طالب بتربيته ، ودفعه الفقر ليخدم عند أحد التجار العرب ، وعند وفاة هذا التاجر قام بإمتاع أرملته المسماة « كاديج » لدرجة أنه تزوجها ، وأصبح وريثها الوحيد ، فاستخدم أموالها ليزدهر ويخدم طموحاته . . . وقامت جماعة من اللصوص ، الذين لا يعرفون الله ، ولا الدين باعتناق هذه الديانة » (٢) .

كما يقول بيير بيل Pierre Bell : « إن الملاك جبريل علمه وصفة «طبيخ» تمنحه قوة فائقة للاستمتاع بالنساء ، وكان يتباهى بأن وصفة هذا «الطبيخ» التى تعلمها من الملاك جبريل تقوى الكلى ، وعندما أكل منها أول مرة كان من القوة بحيث هزم أربعين رجلاً ، ومرة أخرى ضاجع أربعين امـــرأة دون أن يتعب» !! (٣) .

كما يقول المفكر الفرنسى دوفيك بوديه D. Bau dier : « إن محمدًا

---

(١) قسيس وأديب ذكر ذلك فى كتابه : القاموس التاريخى الكبير عام ١٦٧٤م .

(٢) د. زينب عبد العزيز ، محاصرة وإبادة ص ٣٩ ـ القدس للنشر والإعلان بالقاهرة .

(٣) المرجع السابق ص ٤٠ .

الغارق فى الملذات المنحرفة ، نظرًا لميوله الطبيعية ، لم يخجل أن يقول فى قرآنه: إن الله قد حباه من قوة الكلى قوة أربعين شخصا من أضخم ماجنى الدنيا . . . وأنه لم يكتف بإقامة مبغى فى الأرض ، فأقام آخر فى السماء » (١) .

ويقول الأديب : « بيير برانتوم » : «هناك كتاب بالعربية عنوانه « من عادات محمد الطيبة » يمتدح قواه الجسدية ويتباهى بأنه كان يمكنه أن يضاجع أحد عشر امرأة تباعًا ، وأن يكرر الجولة فى ساعة واحدة » (٢) .

وبدراسة هذه الأكاذيب وتحليلها يتبين لنا ما يلى :

لويس موريرى « كان كاذبا فى الادعاء بأن الرسول خدم عند زوج خديجة ؛ لأن الثابت من السيرة أن زوج السيدة خديجة مات قبل خدمة الرسول لها والعمل كتاجر فى أموالها وليس كخادم منزلى ، وتبدو الإشارة الحقيرة الخفية فى قوله عن الرسول « قام بامتاع » فالرسول ﷺ لم يقع طوال حياته فى صغائر الذنوب أو كبائرها ، وماذا يقول هذا الأب عن داود الذى يُنَسب إليه إلهه « المسيح»، والذى ذكرت التوراة أنه زنى بامرأة متزوجة وقتل زوجها ثم تزوجها .

لقد جاء بالتوراة أن داود رأى امرأة تستحم على سطح فأعجبه جمالها ، فزنا بها وحملت منه سفاحًا ، وكان لها زوج قائد من قواد جيشه يسمى « أوريا»، فأرسل داود لاستدعائه ليدخل عليها حتى يبرر سببا لولادتها بعد ذلك ، ولكن الرجل رفض أن يضاجع « يجامع » امرأته وجيشه يحارب ، فلم ير داود بدًا من قتله ، فأرسل إلى قائده الأعلى ليورده مورد المهالك ، ثم تزوج امرأته التى أنجبت له سليمان ، وبعد أجيال كان المسيح من الحفدة !! (٣) .

إن إيمان السيدة خديجة بالرسول ومساعدتها له ماليًا لهى أكبر دليل على صدق النبوة فمالها كان يحقق له السلطة والملك والجاه ، بدلاً من إنفاقه على

(١ ، ٢) محاصرة وإبادة ص ٤٠ ، ٤١ .

(٣) انظر : سفر صموئيل الثانى الإصحاح ١١، وكتابنا : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ـ ص ٦٦ ، ٦٧ ، ويراعى فى حديثنا عن التوراة أننا نذكر أسماء « داود وسليمان » بدون صفة الأنبياء لأن التوراة اعتبرتهم ملوكًا وليسوا أنبياء أصحاب رسالات سماوية .

دعوة قد تنجح أو تفشل ، ومن الحقائق المؤكدة أن الرسول ﷺ عاش حياته كلها فى شظف العيش ، وانتقل إلى جوار ربه ولم يورث بناته درهما ولا دينارًا، وكان يستطيع من حصته فى الغنائم أن يصبح من أغنى الناس أموالاً!!

والقس « بيير بيل » يقول : إن جبريل علمه وصفة طبيخ تزيد من قوته الجنسية ، فلو صدق هذا القسيس فيما قال لكان ذلك من آيات صحة رسالة الرسول ﷺ ، فجبريل عليه السلام هو رسول الله إلى الأنبياء والمرسلين، وكان هو الرسول المبشر للسيدة مريم بميلاد المسيح ، فهل يرسله الله ليعلم رجلا وصفة تزيد رجولته وفحولته فقط ، أم ذلك بجانب النبوة ، أليس من الحقارة اتهام الرسول بما ليس فيه ؟ ! من قال : إنه هزم أربعين رجلاً وضاجع أربعين امرأة . . إنها أضغاث أوهام ، وهل جاء فى القرآن ذلك . . أيها الكذبة . . ، إن التوراة توضح لنا أن شمشون النبى « الذى حل عليه روح الرب » وكان نذير الرب ، قتل ألف فلسطينى بفك حمار ، ومع ذلك جعله اليهود والمسيحيين من الأبطال. . . ألا تستحون أيها الكذبة المقدسون .

من عجائب الغرائب أو غرائب العجائب ، أن التوراة أوضحت زواج «سليمان » بألف امرأة منهم سبعمائة زوجات وثلاثمائة سرارى [1] ، ومع ذلك لم ير الرب فى ذلك عيبًا فى ملكه سليمان ، فاختاره لبناء بيته المقدس « هيكل سليمان » ، فلو تزوج الرسول وتسرى بعشرة نساء وأكثر قليلاً ، فهو بالنسبة لسليمان كأنه عاش أعزب .

واليهودية والمسيحية لم تنه عن التعدد ، وقد حكى « ويل ديورانت » فى قصة الحضارة من آثام الأحبار والرهبان ما يثير الاشمئزاز !

والثابت أن كبار فلاسفة ومفكرى العالم الغربى الأقدمين الذين ينسب إليهم تقدمهم العلمى والفكرى من الشواذ .

ويقول الشيخ الغزالى عن هذا الأمر : « إن الفلاسفة الذين يعتبرهم البعض مثله الأعلى هم لواطيون ، شاذون جنسيا ، يفخرون بشذوذهم ، ويتباهون

---

(١) التوراة : سفر الملوك الأول ١١ : ١ ـ ٤ .

بمضاجعة الغلمان !! وقد كرهت امرأة سقراط رجلها وعافت عشرته لتعلقه بأحد تلاميذه ، وقس على ذلك أفلاطون الذى تعرف على سقراط وهو صغير ، وسقراط مشهور بهذا الداء ومتهم بإفساد الشباب . . .

ويزعم أرسطو أن نسبة الشواذ فى عصره تعادل نسبة الطبيعيين وقد جرت على لسانه عبارات لا نجرؤ على نقلها هنا . وتقول مؤلفة « الجنس فى التاريخ : إن معظم المجتمعات حرمت اللواط ، أو تجاهلته إلا اليونان ، فإن البغاء المذكر كان شائعا ، ويمكن استئجار الغلمان ! » .

والحضارة الغربية الحديثة ورثت عن اليونان والرومان مباذل وضيعة مخزية ، ومع ذلك فهى تتغافل بخبث عن عللها ، وتتناسى الدنس الذى تصبح فيه وتمسى ، وتبسط لسانها بالأذى فى سيرة أمير الأنبياء ، ومعلم الأمم الطهر والعفاف !!

وهل تنتظر من بيئة « الإيدز » إلا هذا التدنى ؟ »[1] .

هذا ، وقد كانت لزيجات الرسول ﷺ أهدافًا وحكما إلهية ، لم تكن منها الرغبة فى الاستمتاع بالنساء ، إلا فى عدد قليل منها ، وهذا لا يعيب الرسول ﷺ ؛ لأنه بشر كباقى البشر ، إنما يعيب الرجل عدم اكتمال الرجولة .

هذا وسوف نعرض فى هذا المبحث ما يلى :

أولاً : زوجات الرسول ﷺ .

ثانيًا : الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ .

ثالثًا : الحكمة من إطلاق تعدد الزوجات للرسول ثم تقييده .

---

(١) الشيخ محمد الغزالى : قضايا المرأة ص ٧٥ ، ٧٦ . نقلا عن : مقال بجريدة اللواء الأردنية عنوانه : لماذا ينهل الغرب من تراث موبوء بالشذوذ، للكاتب ماجد نصر الدين .

أولاً : زوجات الرسول ﷺ

الزوجة الأولى : السيدة خديجة بنت خويلد :

أولى زوجات الرسول ﷺ اختارها الله لتكون شريكة حياة الرسول ﷺ مدة خمسة وعشرين عامًا تقريبا ، منها خمسة عشر عامًا قبل البعثة والنبوة ، وحوالى عشرة بعد النبوة ، فاختارت الرسول ﷺ زوجًا وخطبته إلى نفسها . حتى تكون شرفًا للمرأة فى كل عصر وعلى مدى الأجيال ، فهى أول من آمن بالرسول ﷺ على وجه الأرض وقالت له : « . . والله ما يخزيك الله أبدا. . . إنك لتصل الرحم وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتقرى الضيف ، وتعين على نوائب الحق » (١) .

تزوجها الرسول ولها من العمر أربعون سنة ، وله خمسة وعشرون ، هو فى سن الشباب وريعان الصبا. وهى فى سن وداع الأنوثة والشباب ، وماتت ولها من السن ٦٥ عاما والرسول ٥٠ عاما ، ولم يتزوج معها أخرى ، تحملته فى فترة التعبد والزهد والتنسك للإعداد للنبوة فى غار حراء ، وتحملت معه حصار قريش له فى شعب أبى طالب ، وواسته بالمال ، وأيدته بالفكر الصائب والعقل الراجح حتى تعينه على أداء الرسالة . فهل كانت هذه الزيجة زيجة شهوة وحب نساء ؟!! .

قال عنها الرسول عندما ذكرتها زوجته العذراء الحبيبة الصغيرة السيدة عائشة: قد أبدلك الله خيرا منها فكان الجواب : « والله ما أبدلنى خيرا منها آمنت بى حين كفر الناس ، وصدقتنى إذ كذبنى الناس ، وواستنى بمالها إذ حرمنى الناس ، ورزقنى الله منها الولد دون غيرها من النساء » .

لعل هذا الحديث يوضح لنا أنها بحق كانت زوجة نبى، لا عاشقة لشهوانى، وإن لم يُحرم الله حُسن العشرة والسكن والمودة والرحمة فى الزواج .

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٢٥٣ .

الزوجة الثانية : سودة بنت زمعة :

أرملة مُسنة ، غير ذات جمال ، لم يكن لها مطمع فى الزواج من الرجال، فقد تخطت سن الرغبة فى الرجال ، ولولا شرف الزواج بالرسول لما أقدمت على إتمام هذ الزواج ، الذى يُعد تكريما لها وتشريفًا لقومها وجائزة حُسن إسلام، فقد هاجرت مع زوجها السابق إلى الحبشة عن طريق البحر ، وتعرضت لأهوال الموت، ومات زوجها أثناء هجرته ودفن بعيدًا عن الأهل والوطن ، وعادت هى لتهاجر مرة أخرى إلى المدينة ، بلا عائل ، وقومها يسعون خلفها ليردوها عن الإيمان ، تزوجها الرسول ﷺ ليكون الزوج والعائل والمكافئ عن حُسن الإيمان .

ولم يكن زواجًا حُبا فى النساء ، ولكن لتكريم النساء المؤمنات ، وخير دليل على ذلك أن الرسول عندما رغب فى تطليقها طلبت منه تركها زوجة له ، وتنازلت عن ليلتها لعائشة ، فقالت : « أمسكنى ، ووالله مالى على الأزواج من حرص ولكن أحب أن يبعثنى الله يوم القيامة زوجًا لك » (١) .

الزوجة الثالثة : عائشة بنت أبى بكر الصديق :

زواجها كان عن اقتراح من السيدة « خولة بنت حكيم » ، وقد كانت عائشة عند الخطبة ابنة ست أو سبع سنوات ، وكان قد طلبها المطعم بن عدى لابنه ، وفى هذا دلالة على أنها كانت تسبق أيامها وكانت تصلح فى هذه السن للزواج ، فى هذا العهد الذى كان رجاله فى الفحولة والرجولة والقوة الجنسية ، رجالاً بحق ، لا أعشار رجال كشباب اليوم . وهذا يفسر لنا سبب عدم استنكار المجتمع لزواج كبار السن من الرجال من الشابات بلا خوف من فتنة ولا خشية من هضم حقوق الزوجات .

ولكن المطعم بن عدى خاف أن يصبأ ابنه لو تزوج عائشة ويتبع دين محمد، وعندما أيقن الصديق ذلك وطلب منه المطعم الرجوع عن خطبته ، وافق على زواجها من الرسول ﷺ الذى بنى بها وعندها من السنوات تسع وهى سن بلوغ حينذاك وما زال حتى اليوم فى بعض المناطق الحارة .

---

(١) الإصابة لابن حجر ٨/ ١١٧ .

إذن لم يكن طمع الرسول للزواج منها لأنه رآها شابة حسناء فتية ، يشتهيها الرجال ، ولكن لتوطيد أواصر الصداقة للصديق أبى بكر ، ولهذا حكمة إلهية لم تتوافر إلا للسيدة عائشة ، كانت حب الرسول دون نسائه وأحبته حبًا جمًا رغم فارق السن ، ثم كانت من عالمات ومعلمات الإسلام ، فقد وعت ذاكرتها ما يقرب من ألف حديث للرسول ﷺ ، وقال عنها الرسول : « خذوا العلم من هذه الحميراء» (١) ، فقد كانت فى بيت رسول الله ، هى الدفء والحنان والسكن والمودة والرحمة ، وبحر علم اغترف من محيط رسول الله ﷺ ، ثم أعطى الكثير من مياهه العذبة لصحابته ﷺ فصدق فيها قوله تعالى وأمره جل شأنه : ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب : ٣٤] .

الزوجة الرابعة : حفصة بنت عمر رضي الله عنهما :

ترملت بعد موت زوجها من جراح أصابته فى أحد وهى ابنة ثمانية عشر عامًا فقط ، وأيقن أبوها الفاروق عمر أنها لابد من أن تتزوج ، فكمال المرأة بالزواج ، فاختار لها من الأصدقاء الأوفياء الصالحين ، أبا بكر ، ثم عثمان ثم على بن أبى طالب الذين رفضوا جميعا الزواج منها ، ولكل سببه الذى لا ينتقص من قيمتها شيئًا .

ثم تزوجها الرسول ﷺ ولم تكن صاحبه جمال . ولكنها بنت الفاروق ، وإذا أعز رسول الله صديقه أبا بكر بالزواج من عائشة ، فمن العدالة إعزاز الفاروق بالزواج من ابنته ، ولا يعيب الزواج أن تكون من أهدافه زيادة أواصر المحبة وتوثيق الصداقات ، وتمتين العلاقات بين الأهل والأصدقاء . فهذا أمر مشروع فى كل زمان ومكان وفى شتى المجتمعات .

ولكن الله ادخر للسيدة حفصة أمرًا آخر وعِزًا لم يكن إلا لها دون نساء العالمين ، فهى من ائتمنها أبو بكر الصديق على حفظ المصحف بعد جمعه عندها حتى أخذه أمير المؤمنين عثمان بن عفان فنسخ منه المصاحف التى وزعت على الأمصار ، فكانت أول من حفظ كتاب الله مكتوبًا .

---

(١) الحميراء : تصغير للتدليل فقد كانت حمراء الوجه جميلة .

الزوجة الخامسة : زينب بنت خزيمة:

هى أيضا أرملة شهيد من شهداء أحد ، تزوجها الرسول شفقة بها ، فقد استشهد زوجها وأراد الرسول إعالتها ورفع قدرها بأن تكون أمًا من أمهات المسلمين ، فمكثت زوجة لرسول الله أشهرًا قليلة ثم ماتت،ولم تكن ممن يغار منها باقى زوجاته ، ولكنها كانت بحق أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم .

الزوجة السادسة : أم سلمة :

إنها زوجة عزيزة ، عريقة المنبت ، ذات جمال وإباء وفطنة ، كان أبوها يلقب بزاد الركب حيث كان يتكفل بمؤنة من يصاحبه فى الأسفار ، وكانت أرملة لأبى سلمة الذى مات عنها ، وكانا من أصحاب الهجرتين وأخو الرسول ﷺ من الرضاعة من ثويبة .

فهى أول من هاجر للحبشة من النساء ، وأول ظعينة هاجرت للمدينة ، وقد خطبها الرسول فأبت واعتذرت قائلة : « أنا غيرى » أى كثيرة الغيرة ـ مُسنة ذات عيال ، فأجاب الرسول ﷺ : « أما إنك مُسنة ، فأنا أكبر منك ، وأما الغيرة فيذهبها الله عنك ، وأما العيال فإلى الله ورسوله » .

وهذه الزوجة أعطيت من الحكمة الكثير ، حتى أن المسلمين عندما هموا بعصيان الرسول وهو أمر ليس له سابقة ، كانت هى الناصحة للرسول ﷺ نصيحة التأم الشمل بها .

«لم تلـق هدنة الحديبيـة قبولاً من الصحابة حتى أنهم رفضوها ، فأمر الرسول أصحابه أن يقوموا لينحروا ويحلقوا شعرهم ، فما قام منهم رجل بعد الأمر مرات ثلاث ، فغضب الرسول ودخل على زوجه أم سلـمة شاكـيا صحابته فقالت له : يا رسول الله ، اخرج ثم لا تكلم أحدًا منهم كلمة حتى تنحر بدنك وتدعو حالقك ليحلق لك ، ونفذ الرسول ، وهنـا تدافع الصحابة ليقتدوا به » (١) .

---

(١) ابن هشام السيرة النبوية ٣/ ١٢، عن كتاب نساء النبى د. عائشة عبد الرحمن ص ١٥٣ مكتبة الأسرة .

الزوجة السابعة : زينب بنت جحش :

إنها الزوجة الحسيبة النسيبة ذات الشرف والأصل الرفيع والجمال ، ابنة عمة الرسول ﷺ ، زوجها لمولاه زيد بن حارثة على عدم رغبة منها ، ولكن لا حيلة لها فى عصيان الرسول ولكن الزواج لم يصهرهما فى بوتقة المحبة ، فتعالت عليه حتى أن زيدا فكر فى طلاقها والرسول يعلم أن أبغض الحلال عند الله هو الطلاق فيقول له : « أمسك عليك زوجك » إلى أن تكررت الشكوى فقال الرسول لزيد : « أرابك منها شيء ؟ » أجاب زيد : لا والله يا رسول الله ، ما رابنى منها شيء ولا رأيت إلا خيرا ، ولكنها تتعظم علىَّ لشرفها ، وإن فيها كبرا، تؤذينى بلسانها [1] وكانت النتيجة الحتمية لزواج فاشل ، الطلاق .

زواج بأمر الله :

« رق قلب محمد ﷺ للشابة التى أكرهت على الزواج ممن لا ترضى امتثالاً لأمر الله ورسوله ، وود لو يستطيع أن يجبر خاطرها المكسور ، وحدثته نفسه أن يتزوجها ، ولكن كيف ؟ أو لم يعلن فى الملأ من قريش أن زيداً ابنه ؟ فماذا يقول الناس إذا تزوج ممن كانت امرأة ابنه ؟ . . . وهل تراهم يصغون إليه إذا ذكّرهم بأن المتبنى غير الابن ، وقد جرت تقاليدهم على أن يلصقوا المتبنى بأبيه ، ويجعلوا له حقوق الابن وحرمة النسب ؟ « وقد أنزل الله فى ذلك قرآنا ينظم هذه الحقوق : ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] [2] » .

وقد أنزل الله آيات تنظيم العلاقة فى التبنى فقال تعالى : ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴿٤﴾ ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ

---

(١) د. عائشة عبد الرحمن:ـ نساء النبى ص ١٦٣ مكتبة الأسرة ، ومرجعها : تاريخ الطبرى ٣/ ٤٢ .

(٢) المرجع السابق ص ١٦٥ .

أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤، ٥] .

لقد أكرم الله زينبا بزواجها من الرسول ، وأكرم زيدًا بأن ذكر اسمه فى القرآن الكريم وهو الصحابى الجليل الوحيد الذى جاء اسمه فى قرآن يتعبد به إلى يوم الدين .

فكانت تفتخر على نسائه قائلة : « أنا أكرمكن وليًا ، وأكرمكن سفيرًا : زوجكن أهلكن ، وزوجنى الله من فوق سبع سموات ! » (١) .

وقد حمدت الله على ذلك فكانت العابدة الصوامة القوامة ، مفزع اليتامى والأرامل وحصن المساكين .

الزوجة الثامنة : جويرية بنت الحارث :

الأسيرة الفاتنة رائعة الحسن ، عظيمة الجمال ، شاء لها حظها السعيد أن تؤسر فى حرب بين رسول الله ﷺ وقومها بنى المصطلق ، وكان أبوها سيد القوم وقائدهم « الحارث بن أبى ضرار » ؛ ووقعت كأسيرة فى قرعة صحابى جليل من الفقراء الذين لا يستطيعون إعالة سبية كانت ترفل فى نعيم وعز أبيها ، فأدركت أنها مقبلة على حياة ، لا ذل وعبودية فحسب ، ولكن أيضا حياة فقر وعوز وجوع ، فكاتبت سيدها ثابت بن قيس على مال تدفعه له ويطلق سراحها، ولكنها لا تملك المال فذهبت لرسول الله ﷺ تستعين به لقضاء دينها وفك أسرها، وهى تعلم أنه الكريم ابن الكريم .

وتقول الدكتورة بنت الشاطئ عن ذلك (٢) : « فبينما هو جالس يومًا فى حجرة السيدة عائشة ، سُمعت أنثى تستأذن فى لقاء الرسول ، بصوت شجى مؤثر، وقامت عائشة إلى الباب لترى من تلك ، فإذا شابة حلوة مفرطة الملاحة، لا يراها أحد إلا أخذت بنفسه ، فى نحو العشرين من عمرها ، ترتجف قلقًا وذعرًا ، وقد زادها انفعالها حيوية وسحرًا ، وكرهتها عائشة من النظرة الأولى ،

---

(١) طبقات ابن سعد ٨/٨٣ ، عن نساء النبى ص ١٧٣ .

(٢) المرجع السابق ص ١٨٢ ، ١٨٣ .

فوقفت حيالها وبودها لو تحول بينها وبين زوجها المصطفى ، الذى كان وقتئذ يستريح . . .

ودخلت الشابة المليحة فقالت فى ضراعة تمازجها عزة : يا رسول الله ، أنا بنت الحارث بن أبى ضرار سيد قومه ، وقد أصابنى من البلاء مالم يخف عليك، فوقعت فى سهم لثابت بن قَيس . . . فكاتبته على نفسى ، فجئتك أستعينك على أمرى » .

فقال الرسول ﷺ : « فهل لك فى خير من ذلك ؟ » .

سألت : وما هو يا رسول الله .

أجاب : « أقضى عنك كتابك (أى أسدد عنك دينك) وأتزوجك » . قالت: نعم يا رسول الله .

فتزوجها بعد أن أعطى ثابت بن قيس ما اشترطه من مال لعتقها وحريتها وكان من بركة هذا الزواج أن أصحاب النبى استحوا أسر أصهار النبى ﷺ ، فأطلق كل منهم ما عنده من أسرى ، فكانت أعظم امرأة بركة وخيرا وفضلا على قومها فقد أعتق سنهم أهل مائة بيت .

وأسلمت وحسن إسلامها ، كما أسلم قومها وقيل : إن أباها أسلم ، فياله من زواج مبارك ، أقام عِزا كان قد ضاع ، ونشر دينا لدى الأعداء .

الزوجة التاسعة : صفية بنت حيى بن أخطب :

ابنة سيد يهود بنى النضير التى أسرت بعد فتح حصون خيبر وهزيمتهم، وكانت فى نحو السابعة عشرة من عمرها الذى تزوجت خلاله مرتين، وبعد أسرها أعتقها الرسول ﷺ وتزوجها ، وكان عتقها صداقها [1] .

وفى حديث أنس ، أن رسول الله ﷺ سألها : « هل لك فىَّ ؟ » قالت: يا رسول الله . . قد كنت أتمنى من قبل ، فكيف إذا أمكننى الله منه فى الإسلام .

هذا وقد سبق أن رأت فى المنام أن قمرًا وقع فى حجرها ، فلما صحت من

---

(١) طبقات ابن سعد ٢/ ٨٥ عن نساء النبى ١٩٣ .

نومها قصت رؤياها على كنانة « زوجها قبل النبى » فقال غاضبًا : ما هذا إلا أنك تُمنين مَلِك الحجاز محمدًا ! ولطم وجهها لطمة ما يزال أثرها فيه (١) .

وربما سبب هذا التمنى وتلك الرؤيا أنها كانت تعلم أن الرسول ﷺ هو نبى حق وهو رسول الله حقيقة ، فقد علمت ذلك من أبيها وعمها فهى تقول عن ذلك :

« كنت أحب ولد أبى إليه وإلى عمى أبى ياسر ، لم ألقهما قط مع ولدهما إلا أخذانى دونه ، فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة ، غدا أبى وعمى مغلسين ، فلم يرجعا حتى كان مع غروب الشمس ، فأتيا كالين ساقطين يمشيان الهوينى ، فهششت لهما كما كنت أصنع ، فوالله ما التفت إلى واحد منهما مع ما بهما من الغم ، وسمعت عمى أبا ياسر وهو يقول لأبى : أهو هو ؟ قال نعم والله، قال عمى: أتعرفه وتثبته ؟ قال : نعم .

قال : فما فى نفسك منه ؟ أجاب : عداوته والله ما بقيت » (٢) .

إذن زواج الرسول ﷺ من اليهودية كان دليل صدق النبوة .

الزوجة العاشرة : أم حبيبة بنت أبى سفيان :

اسمها رملة وهى بنت أبى سفيان زعيم مكة وقائد المشركين ثم له فى الإسلام ماله من فضل وفتوحات ونشر دين ، تزوجت ابن عمة الرسول عبد الله ابن جحش وهاجرت معه للحبشة ، حيث تنصر هناك وتركها على دينها .بعد أن حاول مرارًا ردها عن دين الإسلام ، ولكنها أبت فظلت فى وطن غير الوطن ، وأهل غير الأهل ، وعزًا غير العز ، وجاها غير الجاه ، ثم ضياع زوج وعائل .

وفى خِضم هذه الظلمات المهلكة، جاءت النجاة وألقى إليها طوق النجاة ، وهو خطبة الرسول ﷺ لها ونكاحها وهى فى المهجر، لم يكن السبب هو الجمال والطمع فى حُسن وبهاء ، ولكنه الرحمة ممن كانت رحمته من الله: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ﴾ [آل عمران : ١٥٩] . وتحول الانكسار إلى استعلاء ، وكيف

---

(١) السيرة لابن هشام ٣/ ٣٥٠ . عن نساء النبى ص ١٩٥ .

(٢) السيرة لابن هشام ٢ / ١٦٥ ، عن نساء النبى ص١٩٦ .

لا وقد دفع صداقها النجاشى ملك الحبشة وزوجها الرسول ﷺ الغائب وأولم لها وأهداها هو ونساؤه الكثير .

وكانت رملة تقترب من الأربعين ليس لها سحر صفية ، ولا ملاحة جويرية، ولا حُسن أم سلمة ، ولا جمال زينب .

ولكنها تزوجت خير البرية وأحبته حبًا جمًا يليق بزوجة لزوجها المحبوب، حتى أنها رفضت أن يجلس أبوها على سرير رسول الله ﷺ قبل إسلامه .

فقد جاءها زائرًا وهو ما زال على شركه ، فدخل على ابنته « أم حبيبة » ، فلما ذهب ليجلس على فراش الرسول ﷺ طوته عنه ، فقال : يا بنية ، ما أدرى أرغبت بى عن هذا الفراش أم رغبت به عنى ؟ قالت : هو فراش رسول الله ﷺ وأنت رجل مشرك ، فلم أحب أن تجلس عليه » (١) .

الزوجة الحادية عشرة : مارية القبطية أم إبراهيم :

هى مارية بنت شمعون ، أبوها قبطى وأمها مسيحية رومية أهداها المقوقس عظيم القبط فى مصر للرسول ﷺ الذى سبق أن أرسل له حاطب بن أبى بلتعة ليدعوه للإسلام فقال : كنت أعلم أن نبيا قد بقى ، وكنت أظن أنه يخرج بالشام، كما خرج الأنبياء ، فأراه قد خرج من أرض العرب . . . ولكن القبط لا تطاوعنى ، وأنا أضن بملكى أن أفارقه .

هذا وقد أرسل المقوقس للرسول عدة هدايا منها « مارية » وأختها « سيرين» وثياب ومطية للركوب .

فقبل الرسول ﷺ الهدايا فأعجب بمارية وتسرى بها ووهب أختها لحسان بن ثابت ، فأكرمها الله بولادة ابنه « إبراهيم » .

وإذا كانت الصديقة بنت الصديق رميت فى شرفها زورًا وبهتانًا ، فكان من الطبيعى أن ترمى مسيحية مهداة من مصر وليست زوجة وأمًا للمؤمنين ولكنها سرية بما اتهمت به عائشة ، فقد حدث محمد بن عبد الله الزهرى عن أنس بن مالك قال : « كانت أم إبراهيم سرية النبى ﷺ فى مشربتها ، وكان قبطى يأوى

---

(١) البداية والنهاية ٤ / ٤٧٩ .

إليها ويأتيها بالماء والحطب ، فقال الناس فى ذلك : علج يدخل على علجة هناك، فلما أخذ على سيفه ، وقع فى نفسه وألقى الرداء الذى كان يستره فتعرى، فإذا هو مجبوب ، فرجع علىّ إلى النبى ﷺ فأخبره بما رأى من القبطى، ثم جاء جبريل أمين الوحى فقال : السلام عليك يا أبا إبراهيم ، فاطمأن رسول الله ﷺ» (١) .

وهذه السرية أم إبراهيم أنزل الله بسببها قرآنًا ، فهى لم تقم فى دور نساء النبى ﷺ الملحقة بالمسجد ، ولكن كان لها منزل غير بعيد خص بها ، فحدث أن جامعها النبى فى بيت حفصة بنت عمر ، فغضبت حفصة واتفقت مع باقى نساء النبى ﷺ أن يقاطعنه ﷺ ، وأراد الرسول ﷺ رضاهن فقرر تحريم أم إبراهيم عليه فأنزل الله تعالى سورة التحريم ومنها : ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾ [التحريم : ١] .

فياله من دين يساوى فى الحقوق بين نساء النبى الأشراف العرب وبين وافدة سرية أصلها قبطى وهى مصرية الجنسية ، فينزل الله بسببها قرآنًا يتلى إلى يوم الدين » .

الزوجة الثانية عشرة . ميمونة بنت الحارث :

اسمها برة بنت الحارث بن حزن ، الهلالية المضرية ، وهبت نفسها للرسول ﷺ ، فى أثناء العمرة التى قام بها الرسول وصحابته سنة ٧هـ تصديقا لقوله تعالى : ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ٢٧] فقبل الرسول زواجها وأسماها ميمونة لأنها وهبته نفسها فى ذكرى ومناسبة ميمونة ، وكانت رضي الله عنها أرملة فى السادسة والعشرين » ، ولكن الرسول لم يدخل بها ، إلا فى « سرف » قرب التنعيم ، وبلغ من حبها للرسول ﷺ أن أوصت بدفنها بعد موتها فى موضع قبتها فى « سرف » حيث دخل بها الرسول

---

(١) الاستيعاب ٤/ ١٩١٢ ، والطبقات الكبرى لابن سعد ، عن نساء النبى ص٢٣١ .

ﷺ وجاء عنها بالقرآن الكريم :

﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأحزاب : ٥٠] .

وكانت « رضي الله عنها آخر الزوجات للنبى ﷺ وصفتها عائشة رضي الله عنها فقالت : « أما أنها كانت والله من أتقانا لله ، وأوصلنا للرحم » .

رضى الله عن نساء النبى أجمعين .

ثانيا : الحكمة من تعدد زوجات الرسول ﷺ

يمكن تقسيم زوجات رسول الله ﷺ من حيث الحكمة فى زواجهن إلى الفئات التالية :

١ـ زوجات أعدهن الله للمشاركة فى الدعوة إليه وإعانة الرسول على ذلك:

إن السيدة خديجة بنت خويلد لهى الدليل الساطع على اكتمال صفات الرسول ﷺ خُلُقًا وخلقة قبل بعثته ﷺ ، ولولا توسمها الخير فيه لما خطبته ، فقد أعدها الله على كبر سنها لتكون المعين والناصر والمؤيد والسكن والمودة والرحمة ، فى فترات الدعوة العصيبة الأولى ، ولنساء العالمين جميعا الفخر بها ؛ لأنها أول من أسلم على وجه الأرض من بشر رجال ونساء .

أما عائشة بنت الصديق فكان دورها آت بعد الهجرة ، فبالإضافة لحُسن التبعل وحب الرسول ﷺ الجم لها والذى لا ينقص من قدره أو قدرها فارق السن ، إلا أن صِغر سنها واكتمال فهمها وقوة ذاكرتها وملازمتها الرسول ﷺ شبه الدائمة لها ، مكنها من حفظ حوالى ألف حديث للرسول ، فحملت لواء السنة أثناء حياته وبعد وفاته ﷺ .

وحفصة بنت الفاروق عمر، قد شَرُفَتْ بحفظ القرآن الكريم كاملاً مكتوبًا لديها.

وهكذا نرى أن الثلاث منهن من حملت لواء الدعوة فى بدايته ، وأخرى لواء الدعوة بنشر السُنة النبوية ، وثالثة حافظة القرآن ، ولم يتزوج الرسول واحدة منهن طمعًا فى إشباع رغبة جنسية أو اشتهاء .

٢ ـ زوجات تزوجهن الرسول ﷺ للرعاية الإنسانية وجزاءً لتعبدهن ونسكهن:

أولهن سودة بنت زمعة المسنة المترملة التى لا عائل لها يعينها على نوائب الدهر صاحبة الهجرتين ، وأيضا زينب بنت خزيمة ، أرملة شهيد أحد ، والتى أعلى الرسول قدرها وقدر زوجها بنكاحها وهى أم المساكين لرحمتها إياهم ورقتها عليهم ، والثالثة أم حبيبة بنت أبى سفيان التى كانت تقترب من الأربعين وهاجرت مع زوجها السابق الذى تنصر وقاومت هى ظروف الحياة والوحدة وهجر الزوج ، ليكافئها الله بخير البرية رسول الله ﷺ .

أما الرابعة فهى ميمونة بنت الحارث التى أحبت الرسول ﷺ ، ووهبته نفسها حبًا وكرامة ، فلم يرفضها رحمة ورأفة ، فالحب الحلال فى الإسلام شرف .

٣ ـ زوجات أعجب بجمالهن الرسول ﷺ :

وهن أم سلمة ، زينب بنت جحش ، جويرية بنت الحارث ، صفية بنت حيّى .

رسول الله ﷺ كان بشرًا رسولاً ، كامل العقل ، سليم الذوق ، قوى الرجولة ، فهل يعيبه الإعجاب ببعض النساء أصحاب الجمال والزواج منهن ، إن ما يعيب الرجل هو نقص الرجولة أو عدم تذوق الجمال والاستمتاع بما أحل الله من حلال بين ، وهذه سُنة الأنبياء أصحاب الكمال .

وإذا طعن أهل الكتاب فى نبوة الرسول ﷺ أو حاولوا النيل من كماله لزواجه من نساء جميلات أربع ، فلنا أن نسألهم حسب اعتقادهم المستقى من كتبهم وليس حسب الاعتقاد الإسلامى :

يا أيها اليهود ماذا قالت التوراة عن داود ؟ ألم تدع أنه زنى بامرأة أوريا؟ وخطط لقتله حتى يتزوجها ، وهو قد تزوج بأكثر من واحدة [١] !

وكم تزوج سليمان ؟ لقد تزوج بأكثر من ألف امرأة ، ومع ذلك فهو بانى هيكل الرب أى بيت عبادة الرب .

---

(١) انظر كتابنا : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ، وكذلك الكتاب الأول من هذه الموسوعة الباب الأول .

فإذا تزوج الرسول اثنى عشرة امرأة منهن أربع فقط إعجابًا بجمالهن ، فهو بالنسبة لسليمان كأنه نظر إلى امرأة عابرة ١٢ : ١٠٠٠ وأكثر .

ويا أيها المسيحيون . ألم تؤمنوا بما جاء فى التوراة وافتخرتم بأن المسيح من نسل داود وسليمان ؟!! وأنه من نسل بتشبع التى زنا بها داود ؟! اتقوا الله فى أنبيائكم وفى رسولنا ﷺ .

٤ ـ زوجات تزوجهن الرسول ﷺ لتوطيد أواصر المحبة الإنسانية لكافة الأديان:

تزوج الرسول ﷺ صفية بنت حيى بن أخطب اليهودية .

تسرى ﷺ : مارية القبطية .

والعبرة من زواج هؤلاء إيضاح حل الزواج والتسرى من أهل الكتاب ، فالدين الإسلامى دين البشر أجمعين ، ولولا أن صفية كانت تعلم صدق الرسول ورسالته وسمعت ذلك بأذنيها من أبيها وعمها لما وافقت على الزواج من رسول الله ﷺ قاهر قومها وقاتل زوجها السابق ، ولما اعتنقت الإسلام وأخلصت فى العبادة وطاعة الله .

وكانت مارية القبطية من أسباب وصايا الرسول بالقبط حيث قال : «استوصوا بالقبط خيرًا فإن لهم ذمة ورحمًا » .

ثالثًا : الحكمة من إطلاق تعدد الزوجات للرسول ﷺ ثم تقييده

ما وجهه الجهلة من أعداء الإسلام من انتقادات للرسول ﷺ ، بجانب أنه رجل مزواج يهيم بحب النساء ، أنه ﷺ لم يلتزم بما أباحه الإسلام من التعدد المشروط بعدم الجمع بين أكثر من أربعة نساء معًا . حيث جمع بين تسع نسوة معًا.

ونحن نقول : إن هذه الميزة الخاصة برسول الله ﷺ هى من دلائل النبوة ، وصدق الرسالة ، فقد أجاز الله الجمع بين هؤلاء النسوة ، ولكنه فى ذات الوقت قيده بعدم الزواج بغيرهن إعلاءً لشأنه ﷺ وتكريما لنسائه ، فقال تعالى : ﴿ لا

يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

فكان هذا التقييد الذى لم يكن لباقى المسلمين ، وإذا كان الرسول ﷺ تزوج اثنتى عشرة امرأة ، فإن هناك من الصحابة من زادوا الرسول فى الزواج بعدد أكبر وإن لم يجمعوا بين أكثر من أربع نسوة معًا .

والحكمة من إطلاق التعدد للرسول ﷺ حتى تسع ـ بالإضافة لما سبق ـ لأسباب كثيرة منها :

١ ـ اقتران الرسول ﷺ بأزواجه لم يكن لنفس الأسباب لاقتران المسلمين بنسائهم ، فمنهن كما سبق الإيضاح الأولى السيدة خديجة ، كانت المودة والرحمة والسكن والمعينة على الدعوة واثنتان حفظتا السُنة النبوية والقرآن الكريم مدونًا ، وهما عائشة بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر ، وطلاقهن للزواج بغيرهن، سيناقض الحكمة من الزواج بهن ومنها توثيق روابط المصاهرة والنسب بين الرسول وصديقيه ، كما قد يفتح الباب للطاعنين فى الإسلام ، للطعن فى مصداقية حفظ القرآن الكريم والسنة ، والقول بأن نساء النبى انتقمن منه بتغيير كتابه وسنته .

كما أن الرسول ﷺ تزوج بأربع هن : سودة بنت زمعة ، زينب بنت خزيمة، أم حبيبة بنت أبى سفيان ، ميمونة بنت الحارث ، وقد تزوجهن الرسول ﷺ لأسباب إنسانية منها الرعاية فى كنفه ، والمكافأة على الصبر والتمسك بالإيمان وحسن العبادة ، ورعاية المساكين ، فلو طلقهن الرسول ﷺ بعد ذلك ليفهم من جراء هذا أنه عقاب لهن ، لعيوب أو مساوئ قد اقترفنها ولا ننكر أن الرسول ﷺ تزوج من أربع لجمالهن وهن : أم سلمة ، زينب بنت جحش جويرية بنت الحارث ، صفية بنت حيى .

فأم سلمة تزوجها الرسول ﷺ وتكفل الرسول ﷺ بإعالة أبنائها ، فلو طلقها لقيل : إنه رغب عن تربية وإعالة أولادها .

وزينب بنت جحش تزوجها الرسول بأمر من الله عز وجل ، فهل يعصى

الله ويطلقها ؟!

وجويرية بنت الحارث ، وهبت نفسها للرسول حبا له وكرامة منه ، وقد قبلها الرسول فهل يطلقها ؟! وقد سبق أن قبلها . . إن حدث فإن ذلك هو عين الإهانة والرسول ﷺ أرحم وأعلى وأجل من ذلك .

وصفية بنت حيى ، يهودية أسلمت لعلمها بصدق رسالته ﷺ ، وحسن إسلامها ، وكان زواجها من الرسول ﷺ إعلانا للمسلمين بحل الزواج من أهل الكتاب ، وفيه أيضا إعلاء لليهود بالزواج منهم ، وبرهانا على عالمية الدعوة الإنسانية وعدم العنصرية القائمة فيها ، فهل تطلق مثل هذه ؟!

والتسرى بمارية القبطية ، كان الدليل الساطع على عدم التعصب الدينى ضد المسيحيين ، وإنسانية الإسلام الشاملة .

٢ ـ حرم الله زواج نساء النبى من بعده باعتبارهن أمهات المؤمنين :

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

﴿ النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب : ٦] .

فإذا حُرِم زواج نساء النبى بعده ، فهل من الحلال أو المنطق أو العدالة أن يطلق نساء لن يستطعن الزواج من بعده ؟!

٣ ـ سبق أن خير الرسول نساءه فى البقاء مع شظف العيش ، وعناء المعيشة فرفضن ذلك .

ويقول العقاد عن ذلك : « ولقد أقام هؤلاء الزوجات فى بيت لا يجدن فيه من الرغد ما يجده الزوجات فى بيوت الكثيرين من الرجال ، مسلمين كانوا أو مشركين . وعلى هذا الشرف الذى لا يدانيه عند المرأة المسلمة شرف الملكات أو الأميرات ، شقت عليهن شدة العيش فى بيت لا يصبن فيه من الطعام والزينة فوق الكفاف ، والقناعة بأيسر اليسير ، فاتفقن على مفاتحته فى الأمر ، واجتمعن يسألنه المزيد من النفقة ، وهى موفورة لديه لو شاء أن يزيد فى حصته من الفىء، فلن يعترضه أحد ولن يحاسبه عليه . إلا أن الرجل المحكم فى الأنفس والأموال

ـ سيد الجزيرة العربية ـ لم يستطع أن يزيدهن على نصيبه ونصيبهن من الطعام والزينة ، فأمهلهن شهرا وخيرهن بعده أن يفارقنه ، ولهن منه حق المرأة المفارقة من المتاع والحسن ، أو يقبلن ما قبله لنفسه معهن من ذلك العيش الكفاف» (١) .

وكانت النتيجة أن كل نساء النبى فضلن العيش معه فى زهد وتقشف ورفضن الطلاق ، وقد قال تعالى فى ذلك : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [الأحزاب : ٢٨ ، ٢٩] .

فهل لمثل هؤلاء الصابرات القانتات الخاشعات أن يطلقن ، إن الله تعالى جزاهن الجزاء الأوفى ، فحرم على الرسول ﷺ الزواج بغيرهن معهن أو بعد طلاقهن : ﴿ لا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِن بَعْدُ وَلا أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلاَّ مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴾ [الأحزاب : ٥٢] .

فهل هناك إعزاز للمرأة بصفة عامة ولنساء الرسول بصفة خاصة يتطاول ليصل إلى ما وصل إليه الإسلام من إعزاز .

ويبدو أن تحريم زواج نساء الأنبياء من آخرين بعدهم ، كان شريعة إلهية سابقة ـ فلم تحدثنا التوراة أو الإنجيل بأن هناك نساء لأنبياء تزوجن بعدهم ، ولمن ذلك أن ابنًا لداود طلب الزواج من فتاة كانت ترعى أباه فى شيخوخته ، ومع ذلك رفض سليمان ذلك وقتله (٢) ، ولكن التوراة حدثتنا عن اغتصاب نساء أنبياء للأسف (٣) ، فقد اغتصب أبشالوم ابن سليمان محظيات أبيه أمام بنى إسرائيل.

وبعد . . . تعالوا أيها الحاقدون إلى كلمة سواء بيننا وبينكم هل الرسول هو رجل شهوة وحب النساء ! أم أنبياؤكم وملوككم .

---

(١) عباس محمود العقاد : المرأة فى القرآن الكريم ص ٩٣ ، ٩٤ .

(٢) سفر الملوك الأول ، الإصحاح الثانى . وملخصه أن أدونيا أخا سليمان طلب الزواج من الشونمية الشونمي ، التى خدمت داود فى شيخوخته ، فرفض سليمان وقتل أخاه .

(٣) صموئيل الثانى : ١٦ ـ ٢٠ ـ ٢٣ ومنه « (٢٢) فنصبوا لإيشالوم الخيمة على السطح، ودخل لمضاجعة محظيات أبيه على مرأى جميع الإسرائيليين » .

فلا تزكوا أنفسكم ثم تناقضوا كتبكم « المحرفة » فتهينوا أنبياءكم وملوككم ﴿انظُرْ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَىٰ بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا﴾ [النساء: ٥٠، ٥١] ، ولا تحاولوا الإساءة لنبى صادق الرسالة ، عظيم الخلق كما تعلمون ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [البقرة : ٤٢] ، وعودوا إلى الحق قبل أن تأكلوا أصابعكم من الندم : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰ أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴾ [النساء: ٤٧] فاعتبروا يا أولى الأبصار ؟!

الخاتمة

قاسم أمين ودعوته فى ميزان الفكر والشرع

بالرغم من تجاوز دعوة قاسم لتحرير المرأة المائة عام ، إلا أن هذه الدعوة لم يطوها الزمن ، كما لم يختف الداعى لها خلف ستائر النسيان . مثلما اختفى الآلاف من الدعاة فى كل مجال . ومرجع ذلك أن هذه الدعوة ما زالت هى الأساس والمرجع لكل دعاة التحرر حتى الآن ولسنوات طويلة قادمة .

والمفكرون ما زالوا حتى الآن يختلفون فى فكر قاسم أمين . فالبعض يراه عميلا أجنبيا جُند لنشر أفكار إستعمارية غربية ، وآخرون يرون أنه مُفكر وطنى إسلامى سبق عصره وأوانه ، وهو رجل فكر قويم يجب أن يخلد على مر الأيام أما الطائفة الأخيرة فتراه مفكرًا ثائرًا تأثر بالفكر الغربى الأجنبى وكان من الرواد الأوائل لعصر التنوير « مفكر علمانى » .

يقول محمد جلال كشك عن رأيه فى قاسم أمين : « نحن لا نتفق مع وصفه بأنه : « واحد من النخبة التى انطبع عقلها بطابع الفكر الغربى إلى حد كبير » بل الأحرى أن يقال : إنه واحد من النخبة ـ إن شئت ـ التى تسممت بالفكر الغربى المعادى لتراثنا الشرقى ، فهذا الفتى الذى نشأ فى المدارس العصرية وغادر مصر إلى فرنسا فى سن الثامنة عشرة لم تتح له فرصة دارسة الإسلام ، وبالتالى ما كان يملك لا المنطق ولا القدرة على استيعاب الفكر الغربى» (١) .

ويرى أ / أحمد بهاء الدين فى تقديمه لكتاب تحرير المرأة : « إن مكان قاسم أمين الحقيقى هو بين الرعيل من المناضلين المفكرين الذين حفل بهم ما يُمكن أن نسميه « عصر التنوير » . . مكانه الحقيقى هو بين جمال الدين الأفغانى وعبد الرحمن الكواكبى ومحمد عبده وأديب إسحاق وفرح أنطون وعبد الله النديم

---

(١) محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير . ص٤١مكتبة التراث الإسلامى .

وعبد السلام المويلحى وسعد زغلول » [1] .

وبعد أن أوضحنا مطالب قاسم أمين ومدى اتفاقها أو اختلافها مع الإسلام يمكننا إيضاح وجهة نظرنا فى قاسم أمين ودعوته وهل هى لتحرير المرأة أو لتحررها [2] وهل هو عميل يدعو لتنفيذ أفكار وسياسات أجنبية ، أو مصلح دينى اجتماعى ، أو رجل فكر عربى علمانى .

الرأى الأول : قاسم أمين كان عميلا أجنبيًا :

وإننا لا نرى ذلك حيث قام أحد المستشرقين بتأليف كتاب أهان فيه الإسلام: فقام قاسم أمين بالرد عليه دفاعًا عن الإسلام مؤلفا كتابه الأول . « المصريين » وفيه يقول قاسم أمين : «قدم الدوق داركور الإسلام فى أسوأ صورة . . قد شاء أن يتطوع بنسبة جميع النقائص التى يعانى منها الشرق إلى الإسلام . . . الإسلام دين سيئ لأنه أحدث العقم الفكرى عند المسلمين . . . » [3] .

وهذه العادة اللا أخلاقية التى ينتهجها أعداء الإسلام قديما وحديثا عبر عنها القرآن الكريم فقال تعالى : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [الأنعام : ١٤٤] .

كما أوضح فى نفس الكتاب سياسات أوربا الظالمة لنا فقال : « على أنه من المؤكد أن تتكتل أوربا ضدنا لو أقدمنا على تقديم أحد الأوربيين من مرتكبى الجرائم إلى المحاكم المصرية أو المختلطة أو الأهلية ، ولو مارسنا ضغطا على الأوربيين لدفع أية ضرائب ، أو عدلنا التعريفة الجمركية من أجل حماية إنتاج أو صناعة وطنية ، أو فكرنا فى تنظيم الدعارة أو ممارسة مهنة الصيادلة ، أو قمنا بطرد متشرد خطر ، أو أغلقنا ملجأ فى وجه المخربين» [4] .

---

(١) مقدمة كتاب تحرير المرأة ص٤ الهيئة المصرية العامة للكتاب طبعة سنة١٩٩٣م . والأستاذ / أحمد بهاء الدين من كبار الكتاب والصحفيين .

(٢) نقصد بالتحرير تحقيق ما كفله الإسلام من حريات وحقوق لإعلاء شأن المرأة أما التحرر فنقصد به المبالغة فى المطالبة بتحرر المرأة وفقًا لقوانين وضعية تؤدى إلى تحرر المرأة من حجابها وفضائلها ثم ملابسها وعفتها . وهو ما وصلنا إليه ـ إلى حد ما ـ الآن .

(٣) جهالات عصر التنوير ص٤٤ .

(٤) المرجع السابق ص٢٨ .

« ولكن لا يمضى زمن طويل إلا وترى هؤلاء المقاومين قد وضعوا أيديهم على أهم أسباب الثروة ؛ لأنهم أكثر مالاً وعقلاً وعرفانا وقوة ، فيتقدمون كل يوم وكلما تقدموا فى البلاد تأخر ساكنوها » (١) .

وهذه السُنة الثابتة على مدار التاريخ عبر عنها المولى عز وجل فقال : ﴿ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴾ [النمل : ٣٤] .

وحيث إن التناقض الرهيب من السمات الشخصية والفكرية لقاسم أمين فإنه يمدح الأستعمار الأجنبى ويذكر مزاياه فيقول : ـ « نحن اليوم متمتعون بعدل وحرية لا أظن أن مصر رأت ما يماثلها فى أى زمن من أزمانها » (٢) . ومن ثم فإنه يرى أنه قد آن الأوان لتحرير المرأة من استبداد الرجل ، الأب والزوج والأخ! فيقول : « ومع أن الاستبداد السياسى أصبح فى حالة النزع ، وأشرف على الفوات « الإنتهاء ، بحيث لا تُرجى له عودة ، فلا يزال الرجال عندنا يستبدون على نسائهم » (٣) .

ومعلوم أن الاستبداد بغير حق ليس من الإسلام ، فالله تعالى يقول موضحًا العلاقة المثالية بين الرل والمرأة : ﴿ لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾

[الروم : ٣١]

وقد مَحّدَ وزكّى أعمال الإستعمار الإنجليزى فى مصر وهاجم الثورة العرابية، موضحا استياءه من عرابى : « كان الجميع يشعرون بالرضا ويحسون أنهم مقبلون على مستقبل ملىء بالوعود الطيبة ، حين ظهر عرابى فجأة على المسرح السياسى وأوقف هذه الحركة الرائعة خلال عامين . . » (٤) هل يعقل الشعور بالرضا على مستعمر ثم يدعى إعادة الإصلاح الإنجليزى بعد فشل الثورة العرابية فيقول :

« نجد أن سلسلة الإصلاحات تستأنف والتقدم يمضى بخطى متصلة حتى يومنا هذا وإنشاءات رى كبرى تنتشر وخطوط سكك حديد تمد ، ومكاتب برق

---

(١) جهالات عصر التنوير ص٣٣ ومرجعه تحرير المرأة .

(٢ـ ٤) المرجع السابق ص٢٨ .

وبريد تقام فى كل مكان ، ويُقدم للدراسة مشروع تعديل لوعاء الضريبة ، . . . ويتم إلغاء السُخرة . . ويستمتع المصرى اليوم بكل ما يتضمنه الإعلان الشهير لحقوق الإنسان . . . . » (١) .

وهذا التناقض قد تكون له ضرورة حتى لا يُعادى السلطة المستعمرة ، فتيسر له المساعدة فى نشر دعواه ، خاصة وهى تتفق مع أهدافهم ، ليس حبًا فى المرأة، ولكن لخلق صراعات داخلية جانبية تأخذ من فكر المثقفين ما يجب أن يتصرف للدعوة للتحرير من الاستعمار .

الرأى الثانى : قاسم أمين صاحب فكر دينى قويم :

وأصحاب هذ الرأى يستندون فى تأييد رأيهم على نشاط قاسم أمين الملاحظ فى الدفاع عن بيضة الإسلام فى كتابه « المصريون » وهو يرد فيه على ما ادعاه دوق داركور من إفتراءات ضد الإسلام ، وأيضا كانت مرجعيته فى الدعوة لتحرير المرأة الإسلام ، وظهر ذلك جليًا فى كتابه الثانى « تحرير المرأة » .

وبدراسة أفكار قاسم أمين ورأيه الشخصى عن نفسه كرجل دين نجد أنه أنكر تفقهه بالدين ، كما أوضح استحياؤه من الدعوة للدين ، فهو يقول : « فإن كان منهم « منتقدوه » من يقول: إنى قليل الاطلاع على ما كتبه المسلمون قصير الباع فى علومهم ، فأنا لا أجادله فى هذا » (٢) ، كما يقول : « لست أحب الخوض فى حديث الدين لأسباب تتعلق بطبيعتى الخاصة ، وبحرصى على مراعاة اللياقة العامة !! غير أن على فى هذه المرة أن أفعل ما أكره » (٣) .

لقد صدق فى قاسم أمين وأمثاله الذين يستحيون من دينهم قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالاً بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَىٰ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾

---

(١) جهالات عصر التنوير ص٢٩ ، ومرجعه كتاب المصريين والإسلام هو أساس حقوق الإنسان حيث يقول تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [الحجرات : ١٢] .

(٢) المرجع السابق ص١٣ . (٣) المرجع السابق ص٤٤ .

[النساء : ٦٠ ، ٦١] .

وهو يؤمن بأن مرجعية تحرير وتحرر المرأة لن تكون الإسلام فيقول : « إذا كان أمام مصر طريقان : العودة إلى تقاليد الإسلام ، أو محاكاة أوربا فقد إختارت الطريق الثانى ، وليس على أن أحكم على جدارة هذا الاختيار ، لقد مضت فى أثر حركة الحضارة الأوربية ، التى تجتاح كل مكان والتى تبدو استحالة مقاومتها » (١) .

إننى أرى أنه كان صادقًا كل الصدق فى هذه النبوءة التى وصلت إلى درة الحكمة البليغة ، فنحن ما زلنا نسير فى أثر حركة أوربا وابتعدنا عن الدين بصورة شبه نهائية ، وكأن هذا قدر مكتوب ، فتحررنا من كل قيمنا الخلقية والدينية وأطلقنا على ذلك « التنوير » !!! ويسعنا تحذير الله لنا فى قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَنْ تَضِلُّوا السَّبِيلَ ﴾ [النساء: ٤٤]

ويعتقد الكثير من المفكرين والناقدين قديما وحديثا أن كتابى « المصريون » و « تحرير المرأة » ليسا من تأليف قاسم أمين ، وأن الشيخ محمد عبده هو المؤلف الحقيقى لهما ، ومن هؤلاء : درية شفيق ، إبراهيم عبده ، أ . د محمد عمارة، محمد جلال كشك ، وقد آمنت بذلك قبل أن أطلع على آراء هؤلاء ، فقاسم أمين ، تركى الأصل ، غربى التعليم ففى مصر تعلم فى المدارس الأجنبية ، وسافر لفرنسا وعُمره ١٨ سنة ، وحصل على شهادة فى القانون ، فلم تكن تنشئته إسلامية ، ولا أزهرية ، حتى يطلع على أحكام الإسلام المنظمة لحقوق المرأة وينتقدها .

والمتحمسون المؤمنون بأن قاسم أمين رجل إصلاح اجتماعى قائم على أساس دينى يؤمنون بأن كتابيه المشار إليهما « المصريون وتحرير المرأة » هما من إنتاجه وأن دعوته قامت على أسس من الدين الإسلامى يتمسكون بقوله : « سبق الشرع الإسلامى كل شريعة سواء فى تقرير مساواة المرأة للرجل ، وأعلن حريتها

---

(١) جهالات عصر التنوير ص ٢٧.

واستقلالها يوم كانت فى حضيض الانحطاط عند جميع الأمم . . . . . والميل إلى تسوية المرأة بالرجل فى الحقوق ظاهر فى الشريعة الإسلامية» (١) . ونحن لا نشاطرهم الرأى حيث لوحظ أنه مع إيمانه بسبق الشريعة الإسلامية فى تقرير حرية المرأة إلا أنه لم يكتف بأحكام الشريعة ، فهو يقول : « الميل إلى تسوية المرأة بالرجل » ومعنى هذه الجملة أن أحكام الشريعة لم تعط المرأة حقها الكامل ولكنها أعطتها بعض الحقوق وليس كلها !!!

كما أثبتنا فى هذه الدراسة : أن قاسم أمين بدأ دعوته ومطالبه فى ظل الدين الإسلامى مُدعيًا تمسكه بأحكام الدين ثم انسلخ منه شيئًا فشيئًا وفى النهاية نبذه وتخلى عنه .

إذن لم يكن قاسم أمين رجل دين أو من دعاة التحرر على أساس دينى .

قاسم أمين مفكر عربى علمانى :

إننا نرى ونؤكد أن قاسم أمين كان شابًا أغر عديم الخبرة بالحياة ، ناقص المعرفة لأمور دينه ، بهرته أضواء باريس وأفكار ومبادئ التحرر فى الغرب فجرفته تيارات التغريب عن شواطئ الأمان لدينه ووطنه ، فغرق فى خضم عادات وتقاليد الغرب ، واستغل فرصة تردى أحوال المرأة فى مجتمعه للدعوة لتحررها ، ثم كانت دعوته هى الأساس لكافة دعوات السفور والفجور حتى الآن، وهو يقول منبهرًا بالحضارة الغربية عابدًا لها مستهترًا بوطنه مصر : « تقول العامة : إن مصر أم الدنيا ، والأصح إذا قورن بينها وبين مدن الممالك الأخرى مثل لندرة وباريس . . . أن تسمى « خدامة الدنيا » (٢) .

وهو يُمجد ويُعلى من شأن الاستعمار الغربى الإنجليزى لمصر فيقول : «اليوم زالت أسباب الخوف من الحاكم . . . بل إن الاستخفاف بالحكومة صار عاما» .

كما يقول مادحًا الغرب : « انظر إلى البلاد الشرقية ، تجد أن المرأة فى رق الرجل ، والرجل فى رق الحاكم ، فهو ظالم فى بيته مظلوم إذا خرج منه .

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٢٦ .

(٢) محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير ص٢٦ .

ثم انظر إلى البلاد الأوروباوية تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية فارتفع شأن النساء فيها إلى درجة عالية من اعتبار وحرية الفكر والعمل ، وإن كن لم يصلن إلى الآن إلى مستوى ما أعد لهن»[1]، ومما لا شك فيه أن أسباب ذلك هو البعد عن تعاليم الإسلام .

ويظهر التأثير الحضارى الغربى الأوربى فى أفكار قاسم أمين عندما يقول : «هل يظن المصريون أن رجال أوربا ، مع أنهم بلغوا من كمال العقل والشعور مبلغًا مكنهم من اكتشاف قوة البخار والكهرباء . . . . يمكن أن يغيب عنهم معرفة الوسائل لصيانة المرأة وحفظ عفتها» [2] .

ونحن نقول: أين أنت يا قاسم لترى الغرب الذى اجتاز أقطار السموات والأرض ، وبلغ من العلم استطاعة استنساخ الإنسان ، وهو يجتاز كل أخلاق العفة والفضيلة ، ليصل إلى منتهى الانحطاط الخلقى والانحلال الدينى ، حتى أصبحت عذرية الفتاة مصيبة تسىء إلى إنسانيتها وأنوثتها ، وصار الشذوذ الجنسى بكافة أشكاله تراثا يفتخر به ، وأدب ينبغى التمسك به ، وفضيلة يجب الحفاظ عليها باسم حقوق الإنسان .

ويظهر التناقض جليا فى قوله :

« إن الغربيين قد غلوا فى إباحة التكشف للنساء إلى درجة يصعب معها أن تتصون المرأة من التعرض لمثارات الشهوة ، وما لا ترضاه عاطفة الحياء » [3] .

كما انتقد قاسم أمين العلاقات المتحررة بين النساء والرجال فى الغرب وقال: إنها لصالح الرجل غير المتزوج فقال : « إننى أعلم أن كل هذا ممتع وأنه لكى لا يحبه المرء يجب أن يكون رجلاً وأضيف ؛ وبخاصة ألا يكون زوجًا!»[4].

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص١٤ . (٢) المرجع السابق ص٨٩ .

(٣) المرجع السابق ص٦٠ .

(٤) محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير ص ٣٢ وهو يقصد بذلك السفور والاختلاط الكامل .

ويعلق محمد جلال كشك على هذه الفقرة فيقول : « وهذا معناه ـ على قدر ما يفهم من الجملة الملعبكة ـ أن تحرر المرأة هناك ومخالفتها الرجال بلا حشمة ، يسهل للرجل الخباص ، وتحقيق رغباته ونزواته ، مما لا يرضاه لزوجته، أى أنه لا يحفظ عفة المرأة » (١) .

ورغم هذا التناقض الفكرى ـ وهى السمة الغالبة على فكره ـ إلا أننا نستطيع القول بأن قاسم أمين قد تأثر بالغرب فى الأفكار والمعتقدات وهذه حقيقة يحال إثبات عكسها . كما يمكننا القول : دعوة قاسم أمين دعوة لا تقوم على المرجعية الدينية ولكنها دعوة علمانية .

يقول قاسم : « المرأة الجديدة هى ثمرة من ثمرات التمدن الحديث ، بدأ ظهورها فى الغرب على أثر الاكتشافات العلمية التى خلصت العقل الإنسانى من سلطة الأوهام والظنون والخرافات . . . ذلك حيث أخذ العلم يبحث عن كل شىء ، وينتقد كل رأى . . . . إلى أن أبطل سلطة رجال الكنيسة . . . » (٢) .

والفقرة السابقة توضح أن تعاليم الدين المسيحى ليست هى التى يمكن أن تحقق حرية المرأة . . . وإنما العلم ، وهذا الأمر لا ينطبق على القرآن حيث أوضح الله خلو القرآن الكريم مما أصاب الكتب الأخرى من خرافات وأساطير فقال تعالى :

﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ۝ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ ﴾ [الفرقان : ٥ ، ٦] . كما أوضح الله إحكام آيات القرآن فقال تعالى : ﴿ الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴾ [هود: ١]

وهو ينتقد علماء الإسلام ومن يتبعهم من الناس فيقول : « نحن لا نكتب طمعًا فى أن ننال تصفيق الجهال وعامة الناس الذين إذا سمعوا كلام الله وهو الفصيح لفظه الجلى معناه ، لا يفهمه إلا إذا جاء محرفا عن وضعه منصرفا عن

---

(١) جهالات عصر التنوير ص٣٢ ، ٣٣ .

(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٥ .

قصده برأى شيخ هو أجهل الناس بدينه » (١) .

ويرى قاسم أن من يوافق رأيه من الشيوخ فهو على حق وما عدا ذلك فهم أهل باطل فيقول عن الحجاب : « ما أوردناه فى كتاب « تحرير المرأة » من النصوص القرآنية صريح فى إباحة كشف الوجه والكفين . . . وقد وافقنا على ذلك كثير من علماء المسلمين الذين نقلنا آراءهم ، أما أن فريقًا آخر من الفقهاء استحسن التشديد فى الحجاب ، فهذا رأى لا يلزمنا الدين باتباعه .

وإذا كان فى هذه المسألة قولان فمن الصواب أن يرجح القول الموافق للحرية الإنسانية وللمصلحة العامة » (٢) .

والملاحظ أنه ألغى بإرادته المنفردة آراء جمهور العلماء . . ولم يعترف إلا بما يوافق هواه ، والموافق للحرية الإنسانية والمصلحة العامة وليس الموافق لأحكام الشرع .

وهو يدعو صراحة لترك آراء علماء الدين فيقول : « ومن العيب أن الجرائد وأصحاب الأفكار يرمون كل يوم علماء الدين الإسلامى بأنهم السبب فى انحطاط وتأخر الأمم الإسلامية عن سواها فى المدنية » (٣) .

ونحن نقول :

أو لم يكن من الأجدر أن يدعو لاحترام رجال الدين وإصلاح الأزهر كمؤسسة دينية ، بدلاً من الدعوة للتخلى عن أحكام الدين لضعف رجاله .

ونفس هذه الأفكار التى دعا إليها قاسم فى مداراة وبصورة غير مباشرة كان من الصعب ومن المحال الدعوة العلنية المباشرة لها ، يدعو إليها اليوم كل دعاة التحرر السافر الذى لا يقوم على أى أسس دينية أو أخلاقية أصيلة فتقول فريدة النقاش تحت عنوان الفقهى يتحكم : « ففى هذا الميدان . . ـ حقوق المرأة ـ لا يمكن الاعتداد بالدستور باعتباره سند للقانونى ، أى لمبدئى العدل والمساواة بصورة أساسية ، وأقصى ما يمكن الوصول إليه هو التأكيد على التأويل الفقهى المستنير

(١ ، ٢) المرأة الجديدة ص ٧ .

(٣) المرجع السابق ص٨ .

والمرن وصولاً إلى قيام النساء أنفسهن بإعادة تفسير الشريعة بما يسمح بأدوار لهن فى تحديد احتياجاتهن الفعلية وتطوير مساهماتهن فى صياغة القوانين طبقا للمعايير الدولية » (١) .

فهى هنا طالبت بأن يكون مرجعية تحرير المرأة هى الفكر الفقهى المستنير ـ من وجهة نظرها ـ حتى لو أدى الأمر لتغيير الشريعة بواسطة النساء لتحقيق أهدافهن الإباحية ، والاعتماد على القوانين الوضعية التى تحقق ذلك .

ونفس هذه الأفكار تروج لها د . نوال السعداوى فتقول : « طالب بعض المفكرين المسلمين بإلغاء علم التفسير كلية لأنه من صنع البشر ، ولأنه يفسر القرآن والأحاديث النبوية بما يتمشى مع أهواء أصحاب السلطة» (٢) .

ونحن نقول : ألا يوجد من أصحاب التفاسير على مر القرون من فسر الدين بعيدا عن أهواء أهل السلطة ، ألم يكن من الأولى الدعوة لتحرير الدعاة من ظلم أصحاب السلطة ، ثم الدعوة لإلغاء كافة القوانين الوضعية ! أليست هى كذلك من صنع البشر » أما عن نوعية المفسرين الإسلاميين المرغوبين من دعاة التحرر ، فهم المرتدون عن الإسلام ، تقول د . نوال السعداوى : « ونصر حامد هو واحد من أجرأ الباحثين المعاصرين فى علوم القرآن والمؤسسين لخطاب تحررى جديد حول قضية المرأة ، ينهض على مفهوم العدالة والمساواة » (٣) .

يا للعجب المرتد عن الإسلام بحكم قضائى أصبح باحثا معاصرا متخصصا فى علوم القرآن ؟!! فصدق تعالى حيث قال : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِن بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [الجاثية : ٢٣] .

ومن ثم كانت أغلب المبادئ الهدامة لتحرر المرأة من صناعة قاسم أمين .

وأستطيع القول بأن دعوة قاسم أمين هى أساس كل فسق وفجور ، وهى

---

(١) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٢٩ .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٢٤ .

(٣) فريدة النقاش : حدائق النساء ص٧٧ .

المرجع لكل دعاة التحرر من كل فضيلة وخلق وأدب ودين ، ولكنه كان يدعو فى حياء ومن خلف ستار ، إلى ما يحقق تحرير المرأة فى زمنه .

فقاسم أمين أول من دعا إلى هدم الأسرة والشيوع للنساء فهو يقول مدعيا أن الأسرة هى سبب فساد وضياع حرية المرأة : « عاشت المرأة حُرة فى العصور الأولى حيث كانت الإنسانية لم تزل فى مهدها ثم بعد تشكيل العائلة وقعت فى الاستعباد الحقيقى » (١) .

وما ستره قاسم أوضحته د . نوال فيقول : « علاقة السلطة بالجنس علاقة قديمة منذ انقسام البشر إلى حكام ومحكومين ونساء ورجال ، منذ ما سمى فى التاريخ بالنظام العبودى ، أو النظام الطبقى الأبوى ، أصبح الأب هو صاحب السلطة والنسب والشرف والأملاك » (٢) ، لقد تناسى هؤلاء وغيرهم أن تشكيل العائلة هو من آيات الله وأفضاله على الإنسان : ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل : ٧٢] .

قاسم أمين أول من دعا إلى الاختلاط الكامل بين الذكور والإناث بعيداً عن أحكام الدين ؛ فهو يمدح الاختلاط الغربى ، قائلاً على لسان مفكر فرنسى : «رأيت فى أمريكا الصبيان والبنات يذهبون إلى مدرسة واحدة ، ويجلسون على مكتبة واحدة بعضهم بجانب بعض ، ويسمعون دروسا واحدة ويرتاضون معا ، فإذا أتموا دروسهم استمر هذا الاختلاط حيث ترى البنات فى المعامل والمصانع يشتغلن ويستخدمن فى « اللوكاندات » الكبيرة لمسك الدفاتر ويربين الأطفال فى المدارس الابتدائية ويطلبن العلم فى مدارس الطب ، وترى منهن قسيسات يخطبن فى الطرق وأعضاء فى الجمعيات الخيرية ورئيسات فى المجالس البلدية وما أشبه ذلك » (٣) .

كما يُشجع على حرية سفر المرأة بلا ولى ـ وهـو ما يعارض الإسلام فيقول

---

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٢٢ .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٥ .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٦٩ ، ٧٠ .

« بلغ من أمر احترام الرجل الغربى لحرية المرأة أن بنات فى سن العشرين يتركن عائلاتهن ويسافرن من أمريكا إلى أبعد مكان فى الأرض ، وحدهن أو مع خادمة، ويقضين الشهور والأعوام متغيبات فى السياحة» (١) .

ونفس ما حدث بالأمس فى أمريكا هو ما طالب به دعاة التحرر اليوم ، حتى أن الكثير من الدول الإسلامية ألغت حق الزوج فى الموافقة على سفر زوجته ، ضاربة بالشريعة الإسلامية عرض الحائط « للأسف » .

ومن المعلوم أن قاسم أمين من أوائل المطالبين بحق الطلاق المنفرد للمرأة فهو يقول: «لا يمكن أن تنال المرأة ما تستحق من الاعتبار والكرامة إلا إذا مُنحت حق الطلاق»(٢).

وغنى عن البيان أن هذا الحق المكروه والذى يؤدى اتباعه إلى هدم الكثير من الأسر هو ما يحاول دعاة التحرر اليوم تحقيقه باعتباره من الحريات الإنسانية ، ومما يؤسف له أن بعض البلاد الإسلامية اتبعته ، ولا أستبعد فى ظل الظروف السياسية والعسكرية والفكرية الحالية ، أن تنال النساء هذا الحق فى ظل حقوق الإنسان المفروضة من الأمم المتحدة والقوى الحالية ومن يلهث وراءها من دعاة خراب وتحرر المرأة (٣) .

وقاسم أمين من أوائل من ادعو أن الحجاب هو عادة موروثة وليست من تعاليم الإسلام فيقول : «وكل من عرف التاريخ يعلم أن الحجاب دور من الأدوار التاريخية لحياة المرأة فى العالم » (٤) .

فهو فى الفقرة السابقة ينكر الحجاب كأدب إسلامى ، ثم ينتقده فيقول : «وأما خوف الفتنة الذى نراه يطوف فى كل سطر مما يكتب فى هذه المسألة تقريبا فهو أمر يتعلق بقلوب الخائفين من الرجال وليس على النساء تقديره ولا هن مطالبات بمعرفته ! . . . عجبًا ! لم لم تؤمر الرجال بالتبرقع وستر وجوههم عن النساء إذا خافوا الفتنة عليهن » (٥) .

---

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٥٠ . (٢) تحرير المرأة ص١٣٩ .

(٣) سنتعرض لهذا الموضوع تفصيليا فى الكتاب الثالث من هذه الموسوعة وسوف نناقش بإذن الله آراء د . نوال السعداوى ، فريدة النقاش وغيرهما .

(٤) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٦١ . (٥) المرجع السابق ص٦٨ .

ونفس هذه الأفكار يردها دعاة التحرر حديثا فتقول د . نوال السعداوى : «الختان والحجاب . . . وامتلاك الرجل لحق الإنفاق ، والطلاق ، وتعدد الزوجات . . كل هذه القيم والعادات والقوانين لا علاقة لها بنشوء الدين الإسلامى أو المسيحى أو اليهودى » (١) .

كما تقول مدعية أن سبب حجاب المرأة وختانها هو خوف الرجال ـ كما سبق قول قاسم أمين ـ ولكنها أكثر شجاعة حيث يسمح لها الزمن بإعلان وإظهار ما أخفاه قاسم فتقول : « أدرك الأب البدائى أن أبوته غير مؤكدة طالما هو يشك فى سلوك زوجته » (٢) .

ثم يدعو إلى الحرية الكاملة للنساء دون ضوابط شرعية فيقول : « فالحجاب والحرية وسيلتان لصيانة المرأة ، ولكن ما أعظم الفرق بينهما فى النتائج التى تترتب عليهما ؛ حيث إن الوسيلة الأولى تضع المرأة فى وصف الأدوات والأمتعة، وتجنى على الإنسانية ، والثانية تخدم الإنسانية ، وتسوق المرأة فى طريق التقدم العقلى والكمال الأدبى » (٣) .

ونفس هذه الفكرة ترددها د . نوال السعداوى فتقول : « أما هؤلاء الذين يتصورون أن شرف المرأة لا يصان إلا إذا حبست فى البيت أو فرض عليها دور معين فى الحياة ، أو فرض على عقلها أو جسدها الحجاب فهو أيضا منطق يحتاج إلى مناقشة ؛ لأن الشرف الإنسانى أولاً هو أن يكون للإنسان عقل يفكر به بحرية وبغير قيود أو أحجبة سواء كان هذا الإنسان رجلاً أو امرأة » (٤) .

وأخيراً :

فإن قاسم أمين يدعوا إلى المساواة التامة بين الرجل والمرأة دون مراعاة لطبيعة كل جنس ، ووظيفة كل جنس ، وهو ما يدعو إليه دعاة التحرر حديثا فيقول : «تحسين حال المرأة وإيصالها من الكمال فوق ما وصلت إليه الآن ، وآلوا على

---

(١) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص٥١ .

(٢) د . نوال السعداوى : توأم السلطة والجنس ص١٣ .

(٣) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٤٩ .

(٤) د. نوال السعداوى : توأم السلطةوالجنسى ص٨٧ .

أنفسهم أن يجاهدوا فى هذا السبيل ، حتى يبلغ النساء مرتبة الرجال فيساوينهم فى جميع الحقوق الإنسانية ، ولا أنكر أن عددًا غير قليل . . لم يزل يجادل فى صحة أصل المساواة التامة بين الصنفين » (١) .

ونحن نقول: بعد ما يزيد على مائة عام من قول قاسم هذا: إن المساواة التامة بين الصنفين هى الهلاك للصنفين معًا ، فتحت شعارها ستضيع الكثير من حقوق الرجال ، وثمارها لن تكون إلا زيادة خزى وعار وفجور للمرأة !!

مفتاح شخصية قاسم أمين :

فكر الإنسان هو المرآة الصادقة لشخصيته ، فالشخصية المعتدلة المزاج ، تنتج فكرًا سليما معتدلاً ، أما الشخصية المهزوزة المتناقضة فهى لا تنتج سوى فكر متناقض سقيم وعقيم .

وقد أوضحنا التناقض التام فى أفكار قاسم أمين ، وتنافر التعبير عنها فما يمدحه حينا ، يذمه أحيانًا ، مما جعل الكثير من تعبيراته غير واضحة ، وقد تؤدى إلى مفهوم غير سليم « إن صح القول » . ففى إهدائه لكتابه « المرأة الجديدة» لصديقه « سعد زغلول » يقول ما يفهم منه أن ما بينهما من مودة يعتقد أنها بين الرجل وزوجته تكون أفضل !! يقول فى الإهداء : « . . . أنت مثلت إلى المودة فى أكمل أشكالها ، فأدركت أن الحياة ليست كلها شقاء ، وأن فيها ساعات حلوة لمن يعرف قيمتها . من هذا أمكننى أن أحكم أن هذه المودة تمنح ساعات أحلى إذا كانت بين رجل وزوجته » .

ونرى أن سبب هذه المتناقضات الشخصية يرجع إلى عدة عوامل أثرت فى عقليته مما جعلها تنعكس سلبًا على أفكاره ؛

العامل الأول : فشله فى الحب والغرام :

لا تخلو حياة قاسم من أكثر من قصة حب فاشل ، ويظهر هذا فى دراسة حياته الشخصية فى مصر وفرنسا ، ولن نتعرض لوقائع ، ولكن تعريفه الرائع للحب يوضح أنه قاسى لوعة الغرام والفراق فهو يقول : « مرض يقاسى منه

---

(١) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٢٤ .

العاشق عذابا يظهر باحتقان فى مخه وخفقان فى قلبه ، واضطراب فى أعصابه واختلال فى نظام حياته ، ويظهر على الأخص فى الأكل والنوم والشغل ويجعله غير صالح لشىء سوى أن يقضى أوقاته شاخصا إلى صورة محبوبته مستغرقًا فى عبادتها ، ذاكرًا أوصافها وحركاتها وإشاراتها وكلماتها ، نظرة من عيون محبوبته تملأ قلبه رضا . . . . . فإذا انقضت عاد إلى ما كان فيه من عذاب وآلام » (١) .

كما يقول : « العثور على الحب الشريف من أكبر السعادات فى هذه الدنيا ، فإن كان المال زينة الحياة الدنيا فالحب هو الحياة بعينها » (٢) .

العامل الثانى : لا يؤمن بالحياة الزوجية السعيدة أبدًا :

فهو يقول : « إنى بحثت كثيرًا من العائلات مما يقال : إنها فى اتفاق تام فما وجدت إلى الآن لا زوجًا يحب امرأته ولا امرأة تحب زوجها » (٣) .

ولنا أن نقرر أليست هذه عقدة نفسية لا انفصام لها !! كل الأسر فى مجتمعه وزمنه بلا استثناء غير قائمة على الحب !!

ويؤكد ذلك فيقول : « الناظر فى أحوال هيئتنا الاجتماعية يرى من الوقائع المحزنة ما يجعله على بينة من ذلك ، يرى أن الرجل والمرأة هما خصمان لا يتفقان إلا فى لحظات قليلة ، وأنهما يتحاربان آناء الليل وأطراف النهار ، يريد الرجل أن ينتهز ضعف المرأة وجهلها ليجردها من كل ما تملكه ويستأثر وحده بالمنافع ، وتجتهد المرأة على قدر إمكانها فى الدفاع عن نفسها ، ولا تجد إلى ذلك سبيلا » (٤) .

ويبدو أنه لم يكن سعيدا فى حياته الزوجية فهو يقول : « وأنقص الرجال عندها ـ المرأة بصفة عامة ـ من يقضى أوقاته فى الاشتغال فى مكتبه كلما رأته جالسًا منحنى الظهر مشغولاً بمطالعة كتاب جديد غضبت منه ، ولعنت الكتب والعلوم التى تسلب منها هذه الساعات . . . . فقد رأينا أحيانًا كثيرة مظاهر الوفاق بين زوجتين لرجل واحد ، وما سمع قط أن امرأة مصرية ممن نعنى رضيت

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص١١ .
(٢) المرجع السابق ص١٢ .
(٣) المرجع السابق ص١٣ ، ٤٣ .
(٤) المرأة الجديدة ص ٥٧ .

بمباشرة العلم » [1] .

ومن المرجع أن فشله فى الحب وزواجه بدون حب كان يبتغيه ، جعل نظرته إلى نظام الأسر فى المجتمع نظرة سوداء مؤلمة ، قد تزيد عن ألم مريض فى ليلة سوداء مظلمة طويلة لا يجد فيها من يواسيه أو يخفف ألمه ، وهذا ما جعل البعض يشك فى أنه مات منتحرًا متخلصًا من حياته .

كتب سعد باشا فى مذكراته بعد وفاة قاسم أمين : « قد تحدث من كانوا فى المكان بالانتحار ، وسألت الدكتور عباس عن حقيقة الأمر ، فقال : إنه موت طبيعى ، ولكن كان فى جوابه شىء من التردد ، وكررت أقوالى عليه فى الغد ، فأجاب ـ بعد سكوت ـ بأن الموت طبيعى ، وقال: إنما كان عاشقًا ، . . . . ثم قال بعض الحاضرين إنه أمن على حياته فى نظير مبلغ . . . يدفعه سنويا مقداره نحو ٥٠٠ جنيه ، وفى حالة الوفاة تلتزم الشركة بأن تدفع لورثته عشرة آلاف جنيه، فقلت : الأحسن أن تخفوا ذلك » [2] .

هكذا نرى أن داعية تحرير وتحرر المرأة لم يسلم من الأمراض النفسية التى أدت إلى عُقد لم يستطع أن يتغلب عليها ، حتى شك فى طريقة موته . وبداية هذه العقد الحب والغرام الفاشل ، والحياة الأسرية الزوجية التى لم تحقق غايته وهدفه من الزواج على أساس من الحب الجارف وليس الاختيار المناسب ، ثم الأزمات المالية المتكررة [3] كل ذلك تفاعل مع انبهاره بمجتمعات غربية غريبة عن وطنه .

وكل هذه العوامل أدت إلى دعوة تقوم على الكثير من المتناقضات ، ولكنها للأسف تناسب ما يبتغيه الغرب منا ، وهو جعل تحرر المرأة السبيل الأكبر لهدم ثوابت المجتمع وإلغاء الكثير من أحكام الدين الإسلامى ، وللأسف أفلحوا فى ذلك ، ولكنى أعتقد أن ذلك سيكون إلى حين لقوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] .

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٤٥ .

(٢) محمد جلال كشك : جهالات عصر التنوير ص١٤ ، ١٥ ومرجعه مذكرات سعد زغلول .

(٣) أوضحت مذكرات سعد باشا زغلول ذلك .

نتائج تحرر المرأة كمطالب قاسم أمين :

وضح قاسم أنه صادق النية فى دعوته : « لقد طرقت بابًا من أبواب الإصلاح فى أمتنا والتمست وجهًا من وجوهه فى قسم من أفراد الأمة ـ يقصد النساء ـ له الأثر العظيم فى مجموعها ، وأتيت فى ذلك ما أظنه صوابا ، فإن أخطأت فلى من حُسن النية ما أرجو منه غفران سيئة خطئى ، وإن أصبت ـ كما أظن ـ وجب على أولئك المتعلمين أن يعملوا على نشر ما أودعته فى هذه الوريقات وتأييده بالقبول والعمل » (١) .

كما بين أن هدفه من الدعوة « غاية ما نسعى إليه هو أن تصل المرأة المصرية إلى هذا المقام الرفيع ، وأن تخطو هذه الخطوة على سلم الكمال اللائق بصفاتها، فتمنح نصيبها من الرقى فى العقل والأدب ، ومن سعادة الحال فى المعيشة ، وتحسن استعمال ما لها من النفوذ فى البيت » (٢) .

ورأى قاسم أن قدوته هو النموذج الغربى فى التحرر فقال : « فمن المشاهد الذى لا جدال فيه أن نساء أمريكا هن أكثر نساء الأرض تمتعًا بالحرية ، وهن أكثرهن اختلاطًا ، حتى أن البنات فى صباهن يتعلمن مع الصبيان فى مدرسة واحدة ، فتقعد البنت بجانب الصبى لتلقى العلوم ، ومع هذا يقول المطلعون على أحوال أمريكا : إن نساءها أحفظ للأعراض وأقوم أخلاقًا من غيرهن ، وينسبون صلاحهن إلى شدة الاختلاط بين الصنفين من الرجال والنساء فى جميع أدوار الحياة » (٣) .

وهو فى الفقرة السابقة لم يربط بين تعاليم الدين والاختلاط ، بل ربط بين حرية الاختلاط والعفة ، فادعى أن الاختلاط الكامل فى شتى مراحل الحياة ، ومراحل العمر المختلفة هو سبب شيوع الفضيلة ، وإننا نلتمس له بعض العذر فى ظنه حيث لم تظهر فى عهده مضار الاختلاط ونتائج تحرر المرأة .

كما أنه لم يتخيل أن يؤدى تحرير المرأة إلى فسادها فقال : « أما الحرية

---

(١) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٢٠ .
(٢) قاسم أمين : المرأة الجديدة ص٦ .
(٣) قاسم أمين : تحرير المرأة ص٧٩ .

فمزاياها هى إزالة جميع المضار التى تنشأ عن الحجاب ، وسبق ذكرها ، وضررها الوحيد أنها فى مبدئها تؤدى إلى سوء الاستعمال ، ولكن مع مرور الزمن تستعد المرأة إلى أن تعرف مسؤوليتها وتتحمل تبعة أعمالها ، وتتعود على الاعتماد على نفسها والمدافعة عن شرفها حتى تتربى فيها فضيلة العفة الحقيقية، . . . وليس من الممكن أن تصل المرأة إلى هذه المنزلة الأدبية ما دامت فى الحجاب ، ولكن من السهل جدًا أن تصل إليها بالحرية ، تصل إليها كما وصلت إليها غيرها من النساء الغربيات ، فإنا نرى أنه كلما زيد من حرية المرأة الغربية زاد عندها الشعور بالاحترام لنفسها ولزوجها ولعائلتها » (١) .

وقد أثبت مرور الزمن سوء استخدام المرأة لحريتها أو لتحررها إذا صدقنا التعبير ، وكما كانت النساء الغربيات فى عهده القدوة فى الصلاح ، فهن اليوم القدوة فى الفساد ، وهذا يوضح أن دعوة تحرر المرأة ـ لا تحريرها وفقا للمنهج الإسلامى ـ هو عين الفساد والإفساد .

وما نراه من مساوئ وعيوب تحرر المرأة اليوم هو خير دليل . فقد خرج السكن والمودة والرحمة مع المرأة لخارج بيتها ، ودخلت البيت بلايا أخرى وأمراض اجتماعية وجنسية وثقافية ودينية نتيجة الاستعانة بالخادمات والمربيات وتفشى البطالة فى الرجال وخرج النساء للعمل فضاعت القوامة ، ووجدت العنوسة واليأس من الحياة ، ظهرت أمراض تعذيب واغتصاب الأطفال ـ من الجنسين والبالغين أيضًا ، وبلغت المشاكل الجنسية أعلى معدلاتها منذ خلق البشر، ناهيك عما خلفته من أمراض أخلاقية مضنية ، ظهر إلى الوجود وتنامى الزنا السرى المسمى بالزواج العرفى ، أصبح الشذوذ الجنسى علاقة معترف بها رسميا وأخلاقيا واجتماعيا ودينيا فى الكثير من المجتمعات المتقدمة على وجه الخصوص، حتى اعترف بزواج الرجل بمثله والمرأة بأخرى ، وأصبح ذلك وأسفاه مقياسًا للمدنية وحقوق الإنسان وتقدم الأمم وجزءًا من تراثها الذى تفخر به ، وفى ظل حقوق الإنسان ضاع الإنسان !!!

---

(١) المرأة الجديدة : ص ٤٨ .

فهرس المصادر والمراجع

- القرآن الكريم .

- التوراة .

- الإنجيل .

١ ـ **ابن منظور** : لسان العرب ، ط دار المعارف ، القاهرة .

٢ ـ **أميرة خواسك** : رائدات الأدب النسائى فى مصر ، مكتبة الأسرة ، ٢٠٠١م.

٣ ـ د. **توفيق يوسف الواعى** : النساء الداعيات ، دار الوفاء ، المنصورة ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٣ م .

٤ ـ **حسين العويدات** : المرأة العربية فى الدين والمجتمع.

٥ ـ **زكى السيد أبو غضة** : الإرهاب فى اليهودية والمسيحية والإسلام والسياسات المعاصرة ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط ١ ، ٢٠٠٢م .

ـ المرأة فى اليهودية والمسيحية والإسلام ، دار الوفاء ، المنصورة ، ط١ ، ٢٠٠٣ م.

٦ ـ د. **زينب عبد العزيز** : محاصرة وإبادة ، القدس للنشر والإعلام القاهرة ، ط٢ ، ٢٠٠١م.

٧ ـ د. **سعاد إبراهيم صالح** : حقوق المرأة فى الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مصر ، ١٩٩٨م.

٨ ـ **سليمان محمد العودة** : المرأة بين البيت والعمل ، دار الخلفاء ، المنصورة.

٩ ـ **سناء المصرى** : خلف الحجاب ، سينا للنشر ، ط١ ، ١٩٨٩م.

١٠ ـ **السيد سابق** : فقه السنة ، الفتح للإعلام العربى ، ط١١ ، ١٤١٤هـ / ١٩٩٤م.

١١ ـ **السيوطى** : الدر المنثور فى التفسير بالمأثور ، ط دار إحياء التراث العربى.

١٢ ـ د. **عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ)** : نساء النبى ، مكتبة الأسرة.

١٣ ـ **عباس محمود العقاد** : المرأة فى القرآن ، دار الهلال ، ١٩٧١م .

١٤ ـ **عبد الحليم أبو شقة** : تحرير المرأة فى عصر الرسالة ، دار القلم، الكويت، ط١ ، ١٩٩٠م.

١٥ ـ **عبد الرب نواب الدين** : عمل المرأة وموقف الإسلام منه ، دار الزهراء ، الرياض ، ط٢، ١٩٨٧م.

١٦ ـ د. **عبد الكريم زيدان** : الوجيز فى أصول الفقه ، مؤسسة قرطبة ، ١٩٨٧م.

١٧ ـ **عبد الملك بن هشام** : السيرة النبوية ، تحقيق : طه عبد الرؤوف سعد ، دار الجيل ، بيروت .

١٨ ـ **عماد الدين أبو الفدا إسماعيل بن كثير** : تفسير القرآن العظيم ، دار الجيل، بيروت .

١٩ ـ د. **عمر عبد الرحمن** : كلمة حق ، دار الاعتصام ، القاهرة .

٢٠ ـ **فاطمة المرنيسى** : سلطانات منسيات ، مكتبة الأسرة .

٢١ ـ **فريدة النقاش** : حدائق النساء ، مركز القاهرة لدراسات حقوق الإنسان ، القاهرة ، ٢٠٠٢م .

٢٢ ـ **قاسم أمين** : المرأة الجديدة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٩٣م .

ـ تحرير المرأة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٣م .

٢٣ ـ **القرطبى** : الجامع لأحكام القرآن ، دار الحديث ، القاهرة ط٢ ، ١٤١٦هـ/ ١٩٩٦م .

٢٤ ـ **محمد الغزالى** : قضايا المرأة بين التقاليد الراكدة والوافدة ، مكتبة الأسرة ١٩٩٩م.

٢٥ ـ **د. محمد عطا أحمد يوسف** : تفسير السدى الكبير ، دار الوفاء ، المنصورة، ط١ ، ١٩٩٣م.

٢٦ ـ **محمد عطية الإبراشى** : عظمة الإسلام ، مكتبة الأسرة .

٢٧ ـ **د. محمد عمارة** : الأعمال الكاملة للشيخ محمد عبده ، دار الشروق مصر، ط١، ١٩٩٣م.

ـ شبهات وإجابات حول مكانة المرأة فى الإسلام ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، الأعداد (٧٣ ـ ٧٥) ، ٢٠٠١م.

٢٨ ـ **محمد فريد وجدى** : دائرة معارف القرن العشرين .

٢٩ ـ **محمد مصطفى** : محاكمة نميرى ولغز السودان ، دار الصفوة ، ط١ ، ١٩٩١م.

٣٠ ـ **محمد رشيد العويد** : من أجل تحرير حقيقى للمرأة ، دار حواء ودار ابن حزم، ط٢، ١٩٩٤م.

٣١ ـ **د. محمود بن الشريف** : الإسلام والحياة والجنس ، سلسلة كتب التصوف الإسلامى ، العدد (١٥) ، د.ت .

٣٢ ـ **محمود عبد الحميد محمد** : حقوق المرأة فى الإسلام والديانات الأخرى، مكتبة مدبولى ، ط ١ ، ١٩٩٠م.

٣٣ ـ **د. نوال السعداوى** : توأم السلطة والجنس ، دار المستقبل العربى ط١، ١٩٩٩م.

ـ قضايا المرأة والفكر والسياسة ، مكتبة مدبولى ، ٢٠٠٢م.

٣٤ ـ **وحيد الدين خان** : المرأة بين شريعة الإسلام والحضارة الغربية ، دار الصفوة للنشر ، ط٢، ١٩٩٧م.

٣٥ ـ **د. يوسف القرضاوى** : الإسلام والعلمانية وجها لوجه ، مكتبة وهبة ، ط٧ ، ١٩٩٧م .

٣٦ ـ **د. يونان لبيب رزق** : المرأة المصرية بين التطور والتحرر (١٨٧٣ ـ ١٩٢٣م)، المجلس القومى للمرأة ، مزكر تاريخ الأهرام .